بسم الله الرحمن الرحيم

ISBN 978-9922-9467-2-6

9 789922 946726

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ١٥٨٣ لسنة ٢٠٢٢

الحسني، نبيل، ١٣٨٤ للهجرة- ـ مؤلف.

أثر الميثولوجيا العالمية في تكوين عقائد العرب قبل الاسلام في ضوء التاريخ ونهج البلاغة : دراسة بينية / تأليف السيد نبيل الحسني الكربلائي. ـ الطبعة الاولى. ـ كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٢ / ١٤٤٣ للهجرة.

٢٠٨ صفحة ؛ ٢٤ سم. ـ (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٠١٤)، (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ٢١٠)، (سلسلة الدراسات والبحوث العلمية ، وحدة الدراسات العقدية ؛ ٢٦).

يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ١٩١-٢٠٢).

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة -- حديث ٢. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة -- نهج البلاغة. ٣. الأساطير العربية -- تاريخ -- العصر الجاهلي ٤. الأساطير القديمة ٥. الاسلام والاساطير ٦. الديانات القديمة -- العصر الجاهلي -- العالم العربي أ. دراسة لـ(عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة -- نهج البلاغة ب. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة -- جهة مصدرة. ج. نهج البلاغة

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

سلسلة الدراسات والبحوث العلمية
(٢٦)
وحـــدة الدراســـات العقدية

أثر الميثولوجيا العالمية في تكوين عقائد العرب قبل الإسلام في ضوء التاريخ ونهج البلاغة

دراسة بينية

تأليف
السيد نبيل الحسني الكربلائي

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
مؤسسة علوم نهج البلاغة
www.inahj.org
Email: inahj.org@gmail.com
موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣ - ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

الإهداء

الى من خصها الله بالسلام وجعلها حليلة خير الأنام (صلى الله عليه وآله وسلم) . .

الى من أكرمها الله بفاطمة خيرة النسوان وجعل سبطيها إماميّ الإنس والجان . .

الى من أعاضها الله بالنحل لما بذلت والمعنية بالنفل لما آزرت . .

الى من حاربها المشركون وناصبها المنافقون وبخس حقها المسلمون . .

الى سيدتي ومولاتي وجدتي أم المؤمنين خديجة (عليها السلام) . .

وكفى بذاك حَسَباً وشافعاً بين يدي أبنتها بضعة النبوة وصفوة الرسالة فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها وعلى أمها وأبيها وبعلها وبنيها) . .

أهدي كتابي هذا

- خادمكم وولدكم نبيل -

استهلال

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام):

«إنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وشَهيدًا عَلى هذِهِ الأُمَّةِ، وأنتُم يا مَعشَرَ العَرَبِ يَومَئِذ عَلى شَرِّ دين، وفي شَرِّ دار، مُنيخونَ عَلى حِجارَةِ خُشنٍ، وحَيّاتٍ[1] صُمٍّ، وشَوك مَبثوث فِي البِلادِ، تَشرَبونَ الماءَ الخَبيثَ، وتَأكُلونَ الطَّعامَ الجَشيبَ[2]، وتَسفِكونَ دِماءَكُم، وتَقتُلونَ أولادَكُم، وتَقطَعونَ أرحامَكُم، وتَأكُلونَ أموالَكُم بَينَكُم بِالباطِلِ، سُبُلُكُم خائِفَةٌ، وَالأَصنامُ فيكُم مَنصوبَةٌ، وَالآثامُ بِكُم مَعصوبَةٌ[3] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]»[4].

---

(١) ورد في البحار: (جنادل).

(٢) في نهج البلاغة: ((تشربون الكدر وتأكلون الجشب)).

(٣) هذه الفقرة في نهج البلاغة فقط.

(٤) الغارات، الثقفي: ج١ ص٣٠٣؛ نهج البلاغة، الشريف الرضي: الخطبة ٢٦؛ شرح نهج البلاغة، المعتزلي: ج٦ ص٩٤.

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

«**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُه الشَّوَاهِدُ، ولَا تَحْوِيه الْمَشَاهِدُ، ولَا تَرَاه النَّوَاظِرُ، ولَا تَحْجُبُه السَّوَاتِرُ**»[1]، وصلواتهُ التامات الزاكيات على حبيبه محمد، «**عَبْدُه ورَسُولُه الصَّفِيُّ، وأَمِينُه الرَّضِيُّ، أَرْسَلَه بِوُجُوبِ الْحُجَجِ وظُهُورِ الْفَلَجِ وإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالاًّ عَلَيْهَا، وأَقَامَ أَعْلَامَ الِاهْتِدَاءِ ومَنَارَ الضِّيَاءِ، وجَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلَامِ مَتِينَةً، وعُرَى الإِيمَانِ وَثِيقَةً**»[2] وعلى أهلِ بيته «**أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ**»[3]، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

إنّ مما لا ريب فيه أنّ القارئ لكتاب نهج البلاغة بتأمل وتدبر لاسيما أهل العلم والفضيلة والمعرفة بتعدد حقولها وتنوع مصادرها ومناهلها، سيجد في هذا الكتاب الشريف ما لا يحصى من العلوم والمعارف، وكيف لا وصاحب الخطاب (عليه السلام) هو باب مدينة علم النبوة.

ومنها العقائد، فهو الشاهد لما عصف بالناس من ضروب الوثنية ومعتقدات الجاهلية وتردي السمات الإنسانية، بل وكأنه الحاضر لما سارت

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥، بتحقيق صبحي الصالح: ص٢٦٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نهج البلاغة الخطبة: ٢.

عليه الناس منذ أن بعث الله الأنبياء (عليهم السلام) لاستنقاذهم من براثن الشيطان، بل والحاضر لما عانته الناس من السلاطين وملوك الأمم وما جرت عليها من أحكامهم ونهب ثرواتهم وبأسهم وفقرهم وجهلهم، فيقول (عليه السلام) في وصف حالهم وبيان أحوالهم:

«فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وبَنِي إِسْحَاقَ وبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الأَحْوَالِ وأَقْرَبَ اشْتِبَاه الأَمْثَالِ، تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ والْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ وبَحْرِ الْعِرَاقِ، وخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ، ومَهَافِي الرِّيحِ ونَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ ووَبَرٍ، أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً وأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، ولَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ والأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلَاءِ أَزْلٍ وأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ وأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ وغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ»[1].

ومن ثم: فقد كشفت النصوص الشريفة عن بيانها لما كان عليه الناس بنحو العموم والعرب بنحو الخصوص من تعدد معتقداتها وتنوع أفكارها وتشتت أراءها وتأثرها بالأساطير والخيال الوافد من الشرق والغرب والشمال والجنوب فكون لها رصيدًا منوّعًا من المعتقدات ومزيجا من الرؤى والأفكار فنتج عنه معتقدات جديدة وفريدة لم يلحظها المؤرخون والميثولوجيون في المجتمعات الشرقية ولا الغربية، بل أنفرد بها العرب قبل الإسلام مما يقدم

(١) نهج البلاغة، الخطبة القاصعة.

كاشفية عن خصوبة الخيال عند العرب وتمسكهم بكل ما يمكنهم من تحقيق جلب المنفعة ودفع المضرة فضلا عن التعلق بمفهوم الرمزية التي أفضته الكعبة المكية على أهلها مما كوّن مزيجًا من الاسطورة والخرافة والديانات السماوية .

ومن ثم فان هذا التنوع في المعتقدات والأفكار احتاج الى جهود فريدة تتناسب مع حجم هذا التنوع بل والخطر الذي ينتج عنه في محو الإنسان بسماته الإنسانية وتحويله الى أداة لتلبية الغرائز وإطفاء سعير الشهوات، فضلا عن ضياع جهود الأنبياء (عليهم السلام) في إصلاح البشرية بعد أن عاثت في مقدراتها ومكونتها الوثنية، وهو ما ركز عليه الإمام علي (عليه السلام) في خطابه الى الناس لا سيما الصحابة في بيانه للجهود الجبارة التي بذلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في إنقاذهم من هذا التردي الفكري والعقائدي والأخلاقي والاجتماعي بل ومجمل شؤونهم الحياتية والإنسانية.

وعليه فقد اشتملت الدراسة على تمهيد وفصلين وخاتمة، فأما التمهيد فكان لمقدمات الدراسة ومناهلها المعرفية ومشكلتها ومناهج البحث، وأما الفصل الأول: فكان في كاشفية أقوال الإمام علي (عليه السلام) عن أثر الميثولوجيا العالمية في معتقدات العرب وحاكمية الوثنية قبل البعثة. وقد أشتمل الفصل على مبحثين:

فأما الأول: فقد تناول محددات عقائد العرب قبل البعثة في أقوال الإمام علي (عليه السلام) وكاشفيتها عن أثر الميثولوجيا العالمية في تنوع معتقداتهم.

وأما المبحث الثاني: فكان في بيان دواعي نشوء المعتقدات لدى العرب

قبـل البعثـة.

أمـا الفصـل الثـاني فقـد خصـص لبيـان كاشـفية أقـوال الإمـام عـلي (عليـه السـلام) عـن سريـان عبـادة الأصنـام وحاكميـة الوثنيـة العالميـة في ديانـة العـرب. وقـد اشـتمل الفصـل عـلى ثلاثـة مباحـث، الأول: الرمزيّـة وأثرهـا في تكويـن عبـادة الأصنـام؛ والثـاني: تطـور الرمزيّـة وتعـدد صورهـا في الديانـات السـائدة في الجزيـرة العربيـة فكانـت الأصنـام أبـرز مظاهرهـا.

والثالـث: كاشـفية قولـه (عليـه السـلام) «**وَالأَصنـامُ فيكُـم مَنصوبَـةٌ، وَالآثـامُ بِكُـم مَعصوبَـةٌ**»[1] عـن سريـان عبـادة الأصنـام بـين العـرب.

وقد ختمت الدراسة ببعض النتائج التي خلصت إليها.

﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾، [هود: ٨٨].

كتـب في جـوار ضريـح ريحانـة الرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه) وقـرة عـين فاطمـة الزهـراء البتـول (صلـوات الله عليهـا وعـلى أمهـا وأبيهـا وبعلهـا وبنيهـا).

والحمد لله رب العالمين.

المتشرف بالخدمتين العتبة الحسينية المقدسة وكتاب نهج البلاغة

نبيل الحسني الكربلائي

(١) هذه الفقرة في نهج البلاغة فقط.

التمهيـد

المناهل المعرفية للدراسة

اشتمل التمهيد على ثلاثة مباحث ومجموعة من المسائل كمعاني مفردات عنوان الدراسة ومفهومها وفرضية الدراسة وهدفها وحقولها المعرفية ومناهج البحث المعتمدة، وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول

معنى مفردات عنوان الدراسة ومصطلحاتها.

المسألة الأولى: معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح.

أولاً: العقيدة لغة.

لم ترد مفردة (العقيدة) في المعاجم اللغوية، وإنما أستل معناها وأخذ من مادة (عقد) وهو يدل على ما يعقده القلب ويقرُّ به ولا يحله إلا بنقضه وهذا المعنى يتكئ على قوله تعالى:

﴿**ولكن يُؤاخذُكُم بما عَقَّدْتُم الأَيمان**﴾ [المائدة: ٨٩].

وقد تناول ابن منظور المفردة بقوله: (العَقْد: نقيض الحَلِّ؛ عَقَدَه يَعْقِدُه عَقْداً وتَعْقاداً وعَقَّده؛ أَنشد ثعلب:

لا يَمْنَعَنَّكَ، مِنْ بِغاءِ الخَيْرِ، تَعْقادُ التمائمْ

واعتَقَدَه كعَقَدَه؛ قال جرير:

أَسِيلَةُ معْقِدِ السِّمْطَيْنِ منها وريَّا حيثُ تَعْتَقِدُ الحِقابا

واعتقد كذا بقلبه وليس له معقودٌ أي عقدُ رأْي.

وفي الحديث: **أَن رجلاً كان يبايع وفي عُقْدته ضعف** أَي في رأْيه ونظره في مصالح نفسه.

وعَقَدَ قَلْبه على الشيء: لَزِمَه، والعرب تقول: عَقَد فلان ناصيته إذا غضب وتهيأ للشر؛ وقال ابن مقبل:

أَثابُوا أَخاهُمْ إِذْ أَرادُوا زِيالَه بأَسْواطِ قِدٍّ، عاقِدِينَ النَّواصِيا

وفي حديث: **الخيلُ مَعقودٌ في نواصيها الخيْرُ** أي ملازم لها كأَنه معقود فيها.

وفي حديث الدعاء: **لك من قلوبنا عُقْدَةُ النَّدم**؛ يريد عَقْدَ العزم على الندامة وهو تحقيق التوبة)[1] .

ثانياً: العقيدة اصطلاحًا.

لم يخرج المعنى الاصطلاحي في مضمونه عن دائرة المعنى اللغوي، فالاعتقاد هو: ما أقره القلب وركن إليه العقل وسلَّم له.

وذلك أنه: (عبارة عن ذلك الشيء الذي يتّصل بذهن الإنسان وروحه وفكره. فعندما يتقبّل الذهن أنّ الأرض تدور حول الشمس أو أنّ الشمس تدور حول الأرض، وعندما يتقبّل أنّ الدمَ يدور في الجسم أو لا يدور، وعند ما يتقبل أنّ للكون خالقًا أو ليس له، وعندما يتقبّل أنّ الإنسان بعد مماته يحيا أو لا، فتقبُّله لأيّ نظرية -حقًّا كانت أم باطلاً- يعني شدِّ تلك النظرية إلى الذهن وربطها به وإحكام صلتها فيه)[2] .

وهي بهذا تعني (عموما مجموعة الأفكار والقواعد والمبادئ والقيم المترابطة والمتكاملة والتي تقدم تصورا للوجود لما هو كائن، ولما ينبغي

(١) لسان العرب: ج٣ ص٢٩٦ - ٢٩٩.

(٢) موسوعة العقائد الإسلامية، محمد الري شهري: ج١ ص٢٣

أن يكون أو تصورا للحال وللمآل بغض النظر عن صحة هذا التصور أو فساده، عن شموليته أو محدوديته، عن كماله أو قصوره)[١].

ومن ثم فهي: (ما عقد عليه القلب واطمأن إليه) [٢].

المسألة الثانية: معنى مصطلح الميثولوجيا.

من البديهية أن يلتفت القارئ أو الباحث إلى أن عنوان المسألة ينطلق من مصطلح أعجمي على اللغة العربية ومن ثم يلزم بنا بيان معناه ودلالته وإن كان ذلك قد لا يتفق بالضرورة مع أهل الاختصاص المعجمي.

من هنا:

رجعنا في هذا الأمر إلى بعض المصادر التي اهتمت بهذا العلم في أبحاثها حول معتقدات الشعوب فكان منها:

(إن كلمة ميثولوجيا: تعني مجمل أساطير شعب ما أو شعوب متعددة، وتعني العلم الذي يتناول تلك الأساطير أيضاً، كما يعني جذرها اليوناني (muthoi) الخرافة إضافة إلى ذلك، سواء أكان شخوصها خارقين أم لا.

ويكون (الميثولوجي) بالنتيجة ما يتعلق بالأسطورة أو الخرافة، أو عالم الأساطير؛ و(الميثوغرافي) مدوّن الأساطير أو مؤلفها)[٣].

وذهب البعض إلى أن:

---

(١) نظرية عدالة الصحابة، أحمد حسين يعقوب: ١٥٧.

(٢) المصطلحات، مركز المعجم الفقهي: ١٨٠٢.

(٣) اختلاق الميثولوجيا، مارسيل ديتيان، ترجمة د. صباح الصمد: ص٢٨، ٢٩.

(الميثولوجيا هي التصور العام الذي يساعد القارئ على فهم الأساطير، لأنه يقدم السياق العام الذي تجري فيه أي أسطورة، ومن ذلك لا تمتلك الأسطورة فاعلية أدبية، لأنها جزء صغير جداً من التصور العام، إن الميثولوجيا ترسم للقارئ الجو العام الذي يدخله في عمق الأسطورة المنفردة، ويجعله يستوعب أبعادها النفسية والاجتماعية والفكرية والفنية)[١].

ورأى آخرون أثر الميثولوجيا في كونها تعد الأساس الحقيقي للحياة الاجتماعية والثقافية؛ ورأت مثل هذه المجتمعات أن الأسطورة تحمل الحقيقة المطلقة؛ لأنها تروي التاريخ المقدس الذي يعد وحياً إلهياً ويتجاوز مستوى الإدراك البشري ليمثل مجرد أنموذج للمحاكاة وحسب.

وكانت أولى قانونيات عالم الطبيعة التي لاحظها الإنسان، قد صارت إلى جزء مكوّن للأسطورة وخطوة أولى على طريق معرفة القانونيات الفيزيائية[٢].

وقد لاحظ بعض الباحثين صعوبة الإحاطة والتعريف بالميثولوجيا تعريفا جامعاً مانعاً لاسيما أن الميثولوجيا قد تداخلت في مكونات جميع الأمم والمجتمعات البشرية.

ولذا:

(يبدو أنه لا يمكن تقديم صورة كاملة عن الميثولوجيا العالمية، فقد عجزت عن ذلك حتى أضخم الموسوعات الخاصة بالميثولوجيا، فهناك

---

(١) الميثولوجيا العالمية، حنّا عبود: ص٥.

(٢) أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة، س. بريوشينكين، ترجمة د. ميخائيل إسحاق: ص٥.

بعض الميثولوجيات لم يقلها أحد، بسبب التابو (الطابو) الديني المحيط بها، لأن أصحابها يعتبرونها من المسلمات الواقعية)[١].

ولعل صعوبة الإحاطة بتعريف جامع يعود - فضلاً عما ذكر - إلى التقاطع بين دلالة اللفظة فيما بين الشعوب، وبخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن بعضهم يعتقد بواقعية الأسطورة التي اعتقد بها، ومن ثم خروجها عن دلالة لفظ الأسطورة المستند إلى اللاواقعية التي شكلت العمود الفقري لتكون الميثولوجيا كعلم يهتم بمعتقدات الشعوب.

ولقد رأى بعضهم هذه الصعوبة فانبرى إلى القول بأن (التعريف الأوضح والأوجز هو أن الميثولوجيا كلمة يونانية معناها معالجة الأساطير، أو هي علم الخرافات، وأخبار الآلهة، والأبطال في جاهرية التاريخ، وكل ما له صلة بالوثنية، وطقوسها، وأسرارها، ورموزها، ومظاهر كل منها.

لذلك: نسوّغ لأنفسنا الكلام على الوثنية الجاهلية، وما فيها من أصنام، وأوثان، وأنصاب)[٢].

فإذا كانت الأسطورة هي العمود الفقري للميثولوجيا لزم الوقوف عندها كي نحيط بمعناها ودلالتها وكيفية إفادتها الباحث في فهم المعتقدات البشرية، لاسيما عبادة الأصنام والأوثان التي أحاطها الإنسان العربي بهالة من الطقوس.

---

(١) الميثولوجيا العالمية، حنّا عبود: ص٥.

(٢) الأساطير والمعتقدات العربية، د. ميخائيل مسعود: ص٢٢.

ولـذا: تـم تخصيـص مسـألة لهـا ضمـن الفصـل الأول في بيـان كاشـفية أقـوال الإمـام عـلي (عليـه السـلام) عـن أثـر الاسـطورة والأسـاطير أو الميثولوجيـا العالمية في معتقـدات العـرب وحاكميـة الوثنيـة.

المبحث الثاني

تعريف الدين ومفهومه في المنظور الإسلامي والميثولجي والانثروبولوجي.

إنّ علاقة الإنسان بالدين من خلال المنظور القرآني الذي تحدث عن هذه العلاقة في علة خلق آدم عليه السلام، قد نشأت منذ أن وجد الإنسان، فكانت علاقة الخليفة بالخليقة علاقة تلازمية.

أما من المنظور الأنثروبولوجي فإن الإنسان منذ أن فتح عينيه في هذه الحياة وعايش الظواهر الحياتية من جوع وعطش ومرض وخوف وصراع وموت، فضلاً عن تداخل الموجودات الأخرى في حياته كالنباتات والحيوانات والنجوم والمياه والنار والرياح والبراكين والأمطار وغيرها، فإنه كان بحاجة إلى شيء ما يعتقد فيه النفع ويدفع عنه الضر، فكانت حاجته إلى المعتقد حاجة فطرية اختلطت فيها حواسه وعقله وقلبه، ولذا نشأ عنده الاحتياج للماورائيات واللامرئيات[1].

من هنا: ذهب الفيلسوف (هيغل)[2] إلى: (أن الإنسان وحده هو الذي

---

(١) ما وراء الطبيعة أو الماورائيات أو(الميتافيزيقا) بالإنجليزية: Metaphysics هو فرع من الفلسفة يدرس جوهر الأشياء. يشمل ذلك أسئلة الوجود والصيرورة والكينونة والواقع تشير كلمة الطبيعة هنا إلى طبيعة الأشياء مثل سببها والغرض منها. بعد ذلك تدرس ما وراء الطبيعة أسئلة عن الأشياء بالإضافة إلى طبيعتها، خاصة جوهر الأشياء وجودة كينونتها. تسعى ما وراء الطبيعة -في صورة مجردة عامة- إلى الإجابة على هذه الأسئلة، ينظر: ويكيبيديا: ما وراء الطبيعة.

(٢) جورج فيلهلم فريدريش هيغل بالألمانية (Georg Wilhelm Friedrich) ولد ٢٧

يمكن أن يكون له دين، وأن الحيوانات تفتقر إلى الدين بمقدار ما تفتقر إلى القانون والأخلاق)[1].

والسبب في ذلك يعود إلى: (أن التدين عنصر أساسي في تكوين الإنسان، والحس الديني إنما يكمن في أعماق كل قلب بشري، بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان، مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء)[2].

فما هو الدين؟

المسألة الأولى: تعريف الدين في المنظور الإسلامي.

تناول بعض الكتاب الإسلاميين تعريف الدين بجملة من التعريفات، فكان منها:

١- (يعد الدين بمثابة أداة روحانية لبناء القيم البشرية وأحداث تعديلات داخلية إيجابية في النفس البشرية بحيث تسعى إلى الخير والحق والإحساس والمسؤولية اتجاه كل من النفس والأسرة والمجتمع بعامة، والابتعاد عن الخطيئة.

أغسطس ١٧٧٠-١٤ نوفمبر ١٨٣١) فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت في المنطقة الجنوبية الغربية من ألمانيا. يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان، حيث يعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. طور المنهج الجدلي الذي أثبت من خلاله أن سير التاريخ والأفكار يتم بوجود الأطروحة ثم نقيضها ثم التوليف بينهما. كان هيغل آخر بناة «المشاريع الفلسفية الكبرى» في العصر الحديث.[٣] كان لفلسفته أثر عميق على معظم الفلسفات المعاصرة. ينظر: ويكيبيديا: هيغل.

(١) مجلة عالم المعرفة، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ص٧، نقلا عن: موسوعة العلوم النفسية لهيجل: ص٤٧ - ٤٨، ترجمة د. إمام عبد الفتاح، دار التنوير.

(٢) المصدر السابق، نقلًا عن: الزمان والأزل، مقال في فلسفة الدين: ص٤٠، ترجمة الدكتور زكريا إبراهيم.

وعُـرِّف أيضـاً: بأنـه اعتقـاد النـاس بوجـود ذات أو ذوات فـوق البـشر والطبيعـة، لهـا قـدرات عـلى تدبـير شـؤون البـشر والكـون، الأمـر الـذي يدعـو إلى وجـوب علاقـة بـين البـشر وتلـك القـوى المدبـرة.

كـما عُـرّف الديـن: بأنـه نظـام مـن أنظمـة الإيـمان والعبـادة، فهـو عبـارة عـن مجموعـة مـن المعتقـدات المقدسـة المؤكـدة مـع إيـراد بعـض التكاليـف الواجـب مراعاتهـا وبعـض الممارسـات الاجتماعيـة.

ويـرى آخـرون أن الديـن اسـترضاء لقـوة عليـا ليطلـب منهـا العـون حيـث قدرتهـا في التحكـم بالحيـاة، فالديـن إذاً أمـران أولهـما الاعتقـاد بوجـود قـوى عليـا متحكمـة، وثانيهـما إجـراء ممارسـات لإرضـاء هـذه القـوى العليـا)[1].

٢ - عَرَّفهُ الشيخ الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ) في بيان معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران/ ١٩].

(معنى الدين ههنا الطاعة، فمعناه إن الطاعة لله عزّ وجل هي الإسلام)[2].

٣ - وعَرَّفهُ السيد الطباطبائي (المتوفى سنة ١٤١٢هـ)، فقال:

(الـذي يدعـى إليـه النـاس بمنطـق الديـن الإلهـي: هـو الشرائـع والسـنن القائمـة بمصالـح العبـاد في حياتهـم الدنيويـة والأخرويـة، لا أنـه يضـع مجموعـة مـن معـارف وشرائـع ثـم يدّعـي أن المصالـح الإنسـانية تطابقـه وهـو يطابقهـا، فافهـم ذلـك، وإيـاك أن تتوهـم أن الديـن الإلهـي مجموعـة أمـور مـن معـارف

(١) جغرافية المعتقدات الدينية لمحسن عبد الصاحب المظفر: ص٦١.

(٢) التبيان للشيخ الطوسي: ج٢، ص٤١٨.

وشرائع جافة تقليدية لا روح لها إلا روح المجازفة بالاستبداد، ولا لسان لها إلا لسان التأمر الجاف والتحكم الجافي، وقد قضى شارعها بوجوب اتباعها والانقياد لها تجاه ما هيأ لهم بعد الموت من نعيم مخلد للمطيعين منهم، والعذاب المؤبد للعاصين، ولا ربط لها يربطها بالنواميس التكوينية المماسة للإنسان الحاكمة في حياته القائمة بشؤونها القيمة بإصلاحها فتعود الأعمال الدينية أغلالا غلت بها أيدي الناس في دنياهم، وأما الآخرة فقد ضمنت إصلاحها إرادة مولوية إلهية فحسب، وليس للمنتحل بالدين في دنياه من سعادة الحياة إلا ما استلذها بالعادة كمن اعتاد بالأفيون والسم حتى عاد يلتذ بما يتألم به المزاج الطبيعي السالم، ويتألم بما يلتذ به غيره.

فهذا من الجهل بالمعارف الدينية، والفرية على ساحة شارعه الطاهرة يدفعه الكلام الإلهي، فكم من آية تتبرأ من ذلك بتصريح أو تلويح أو بإشارة أو كناية وغير ذلك.

وبالجملة الكتاب الإلهي يتضمن مصالح العباد، وفيه ما يصلح المجتمع الإنساني بإجرائه فيه، بل الكتاب الإلهي هو الكتاب الذي يشتمل على ذلك، والدين الإلهي هو مجموع القوانين المصلحة، ومجموع القوانين المصلحة هو الدين فلا يدعو الدين الناس إلا إلى إصلاح أعمالهم وسائر شؤون مجتمعهم ويسمي ذلك إسلاما لله، لان من جرى على مجرى الإنسان الطبيعي الذي خطه له التكوين فقد أسلم للتكوين ووافقه بأعماله فيما يقتضيه وموافقته والسير على المسير الذي مهده وخطه إسلام لله سبحانه فيما يريده منه)[1].

(١) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج٨، ص٣٠٠.

٤- قال الباقلاني (المتوفى سنة ٤٠٣هـ) في معنى الدين:

(فإن قال قائل: فما معنى الدين عندكم؟ قيل له معنى الدين يتصرف على وجوه، منها:

ألف: الدين بمعنى الجزاء؛ ومنه قوله تعالى:

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة/ ٤].

باء: ومنها، قول الشاعر:

واعلم وأيقن أن ملكك زائل ... واعلم بأن كما تدين تدان

جيم: وقد يكون بمعنى الحكم كقوله:

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [سورة يوسف/ ٧٦].

دال: وقد يكون الدين بمعنى الدينونة - بالمذاهب والملل، ومنها قوله: فلان يدين بالإسلام أو اليهودية؛ أي إنه يتدين بذلك على معنى أنه يعتقد وينطوي عليه ويتقرب به.

هاء: والدين أيضاً بمعنى الانقياد والاستسلام لله عزّ وجل، من ذلك قوله:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران/ ١٩].

يريد دين الحق لا على أن اليهودية لا تسمى دينا في اللغة وغيرها في الأديان)[1].

٤- قال الشهرستاني (المتوفى سنة ٥٤٨هـ) في الملل والنحل في بيان معنى الدين:

---

(١) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني: ص٣٨٧.

(معنى الدين أنه الطاعة والانقياد، وقد قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾.

وقد يرد معنى الجزاء، يقال كما تدين تدان، أي كما تفعل تجازى وقد يرد معنى الحساب يوم المعاد والتناد، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [التوبة/ ٣٦].

فالمتدين هو المسلم المطيع المعز بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد، قال الله تعالى:

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

ولما كان نوع الإنسان محتاجا إلى اجتماع مع آخر من بني جنسه في إقامة معاشه والاستعداد لمعاده، وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو أهله ويحصل بالتعاون ما ليس له فصورة الاجتماع هذه على الهيئة هي الملة، والطريق الخاص الذي يوصل إلى هذه الهيئة هو المنهاج والشرعة)[1].

المسألة الثانية: تعريف الدين في المنظور الميثولوجي.

يندرج هذا الاتجاه ضمن معطيات ثقافية مستمدة من تجرد أصحابها من الاعتقاد بوجود الله عزّ وجل، ومن ثم أخذت تبحث عن البديل في فهم ما يختلج في عقل الإنسان وانقياد فطرته إلى اللجوء إلى القوة المدبرة لهذا الكون، ولذا؛ حينما انحصر هذا الفهم في المادة ظل الفهم يدور في فلكها فنتج عنه

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ج١، ص٣٨.

تصورات -فاسدة- عن الدين الذي ينقاد له العقل؛ بمعنى: أن لهذا الكون مدبراً واحداً وهو الله تعالى.

أما أول من طرح هذا المجال فهو: (توماس هوبز - ١٥٨٨، ١٦٧٩م)[1] فكوّن فكرة عن جوهر الدين مفادها: أنه يقوم على اختلافات تطلقها

(١) توماس هوبز (٥أبريل ١٥٨٨ - ٤ ديسمبر) (١٦٧٩بالإنجليزية: (Thomas Hobbes) كان عالم رياضيات وفيلسوفًا إنجليزيًّا.

يعد توماس هوبز أحد أكبر فلاسفة القرن السابع عشر بإنجلترا وأكثرهم شهرة خصوصا في المجال القانوني حيث كان بالإضافة إلى اشتغاله بالفلسفة والأخلاق والتاريخ، فقيها قانونيا ساهم بشكل كبير في بلورة كثير من الأطروحات التي تميز بها هذا القرن على المستوى السياسي والحقوقي. كما عرف بمساهمته في التأسيس لكثير من المفاهيم التي لعبت دورا كبيرا ليس فقط على مستوى النظرية السياسية بل كذلك على مستوى الفعل والتطبيق في كثير من البلدان وعلى رأسها مفهوم العقد الاجتماعي . كذلك يعتبر هوبز من الفلاسفة الذين وظفوا مفهوم الحق الطبيعي في تفسيرهم لكثير من القضايا المطروحة في عصرهم. لقد كان هوبز مناصرًا للملكية المطلقة، ولكنه قام أيضًا بتطوير بعض أساسيات الفكر الليبرالي: الأوروبي: حق الفرد والمساواة الطبيعية بين جميع البشر والشخصية الاعتبارية للنظام السياسي (التي أدت لاحقًا إلى التمييز بين المجتمع المدني والدولة)؛ وهو أيضًا صاحب رأي أن جميع القوى السياسية الشرعية يجب أن تكون «ممثلة» وقائمة على قبول الشعب؛ والتفسير الحر للقانون الذي يمنح الناس حرية فعل ما لم ينص القانون على تجريمه صراحةً.

لقد كان توماس هوبز أحد مؤسسي فلسفة السياسة الحديثة ولقد ظل فهمه للبشر باعتبارهم مادة وحركة تنفذ نفس القوانين المادية مثل أية مادة وحركة أخرى ذات تأثير كبير؛ ويظل اعتباره للطبيعة البشرية باعتبارها تعاونًا مركزه الذات وللمجتمعات السياسية باعتبارها قائمة على (العقد الاجتماعي) أحد أهم الموضوعات في الفلسفة السياسية.

ولقد ساهم هوبز أيضًا، إلى جانب الفلسفة السياسية، في عدد متنوع من المجالات الأخرى، من بينها التاريخ والهندسة وفيزياء الغازات والإلهيات والأخلاق والفلسفة العامة. ينظر: ويكيبيديا الحرة: توماس هوبز.

الدولـة، أمـا التلفيقـات الصـادرة عـن غـير الدولـة فهـي مجـرد خرافـات.

وإن أفكاراً مماثلة تقول: (إن جذور الدين كامنة في عدم ثقة الإنسان بقواه وفي تقلبه الدائم بين الأمل والخوف)[١].

وقـدم (جـون تولانـد)[٢] في أوائـل القـرن الثامـن عـشر عرضـاً مفـاده: (أن أكثر الأشكال تقدماً للديـن الوثني هـو الإيمان بالـروح ووجودهـا بعـد المـوت، وبهـذا كشـف عـن نشـوء عبـادة (عـالم الموتـى لـدى المصريـين القدمـاء)[٣].

ويـرى البعـض: (بـأن الديـن يرتبـط بالخـداع، وأن جـذوره تتصـل بالمـآسي والخـوف لـدى البـشر المعذبـين، ويـرى أن البـدء كان الخـوف لـدى البـشر المعذبـين الأولـين، فاعتقـدوا أن الكـوارث الطبيعيـة بالـذات مـا هـي إلا أشـياء ماديـة، ثـم أصبحـوا يخضعـون لموجـودات غـير مرئيـة، وكأنهـا تقـاد وتوجـه من هذه الأشـياء، وأخـيراً مـع تطـور تصوراتهـم، وتوصلـوا إلى فكـرة وحـدة السـبب الأول (العقـل

---

(١) جغرافية المعتقدات، محسن عبد الصاحب المظفر: ٦٢

(٢) جـون تولانـد (٣٠ نوفمـبر ١٦٧٠ - ١١ مـارس ١٧٢٢) فيلسـوف عقـلاني أيرلنـدي وعـالم هجائـي، كتـب العديـد مـن الكتـب والمنشـورات حـول الفلسـفة السياسـية وفلسـفة الديـن، وهـي تعبـيرات مبكـرة عـن فلسـفة عـصر التنويـر. ولـد في أيرلنـدا، وتلقـى تعليمـه في جامعـات غلاسـكو وإدنـبرة ولايـدن وأوكسـفورد، وتأثـر بفلسـفة جـون لـوك. كان عملـه الأول والأكثـر شـهرة هـو «المسـيحية غـير الغامضـة» (١٦٩٦).

وتـوفي تولانـد في بوتنـي في ١٠ مـارس ١٧٢٢. ذُكِـر في موسـوعة بريتانيـكا عـام ١٩١١ أنـه تـوفى في لنـدن عـن عمـر يناهـز ٥١ عامًـا لأنـه كان يعيـش في فقـر مدقـع، وسـط كتبـه، وقلمـه في يـده. وقبـل وفاتـه بفـترة وجيـزة، قـام بتأليـف سـيرته الذاتيـة، الـذي قـال فيهـا عـن نفسـه: «لقـد كان مؤيـدًا للحريـة، عاشـقًا لجميـع أنـواع التعلـم، ولكـن لم يتبعـه أي رجـل أو تابـع. ولا يمكـن أن يثنيـه العبـوس أو الحـظ عـن الأسـاليب التـي اختارهـا». ينظـر: ويكيبيديـا الحـرة: جـون تولانـد.

(٣) جغرافية المعتقدات، محسن عبد الصاحب المظفر: ٦٢.

الأسمى، الإله)[1].

ثانياً: التفسير الأنثروبولجي للدين.

حاول في هذا المنحى (لودفيكل فيورباخ ١٨٠٤-١٨٧٢م)[2] تفسير جوهر الدين وجعله مبنياً على الأساس البشري الأنثروبولوجي وذلك سنة ١٨٤٥م، وإن مادة الدين ما هي إلاّ مادة المصالح البشرية ومتطلباتها وأن الآلهة تجسيد لرغبات الإنسان[3].

وكان فكره الأساس يتألف من تفسيره الجديد لظاهرة الدين بعد أطروحات شليرماخر، اعتقد فويرباخ أنّ الدين كان في الأساس مسألة شعور في موضوعيّته الذاتيّة غير المقيّدة. لذا فإنّ الشعور يكسر جميع حدود الفهم ويتجلّى في العديد من المعتقدات الدينيّة[4] .

وبنى (ادوارد تايلور)[5] نظريته الثقافة البدائية والتي سماها بـ (النظرية

(١) المصدر السابق.

(٢) كان لودفيغ فويرباخ فيلسوفاً أنثروبولوجيّاً ألمانياً مشهوراً بكتابه «جوهر المسيحيّة»، والذي قام بنقد المسيحية، وكان مؤثّراً للغاية بأجيال من المفكرين اللاحقين، بما فيهم كارل ماركس، وفريدريك أنجلز، وريتشارد فاغنر، وفريدريك نيتشه.

(٣) جغرافية المعتقدات، محسن عبد الصاحب المظفر: ٦٢

(٤) ويكيبيديا: لودفيكل فيورباخ .

(٥) السير إدوارد بيرنت تايلور (بالإنجليزية: Edward Burnett Tylor) (٢ أكتوبر ١٨٣٢ - ٢ يناير ١٩١٧) هو أنثروبولوجيا إنجليزي ومؤسس لعلم الأنثروبولوجيا الثقافية.

ساعدت دراساته على تحديد مجال الأنثروبولوجية وتطور الاهتمام بذلك العلم. كان أستاذاً للأنثروبولوجية بجامعة أكسفورد (١٨٩٦-١٩٠٩ م). أهم كتبه «الثقافة البدائية» (١٨٧١ م) و«النثروبولوجية» (١٨٨١ م).

جسّدت أفكار تايلور مذهب التطور الثقافي في القرن التاسع عشر. من خلال أعماله

الروحية) (الأنيمية) حيث يشكل الإيمان بـ (الموجودات الروحية) الحد الأدنى للدين أي الأنفس والأرواح وما يماثلها، لقد تولد هذا الإيمان بسبب الاهتمام الخاص الذي أولاه الإنسان البدائي لتلك الظواهر المعينة التي كان يعانيها مع أقرانه: الحلم، الغيبوبة، الهلوسة، الأمراض، وآخرها الموت، ولقصوره في تكوين فهم صحيح يفسر أمثال هذه الظواهر، استقر رأيه على تصوير النفس فيه، مرافقاً صغيراً يستقر في جسد الإنسان قادراً على مغادرته لفترة أرواح الأموات ومصائرها وعن انتقال الأنفس إلى أجساد جديدة أو عن عالم خاص بعد الموت وما شابه، وتتحول الأنفس تدريجيا إلى أرواح ومن ثم إلى آلهة، تنتهي إلى إله واحد وهكذا حدث الارتقاء التدريجي من (الأنيمة البدائية).

وقد جرت اعتراضات كثيرة على النظرية الأنيمية من المدافعين عن الدين، الذين رأوا في الأنيمية نقيضاً للمبادئ الإنجيلية الكنيسية وظهرت نظرية (التوحيد البدائي) كبديل ونقيض للنظرية الأنيمية، وقد أوردت أفكاراً

«الثقافة البدائية» في عام ١٨٧١ و«الأنثروبولوجيا» في عام ١٨٨١، عرّف محتوى الدراسات العلمية لعلم الأنثروبولوجيا، استنادًا إلى النظريات التطورية لتشارلز لايل. كان يؤمن بوجود مبادئ وظيفية لتطور المجتمع والدين. وأكد تايلور اجتياز جميع المجتمعات لثلاث مراحل أساسية من التطور: ابتداءً بالهمجيّة إلى البربريّة وانتهاءً بالحضارة. يُعتَبر تايلور شخصيةً مؤسِّسة لعلم الأنثروبولوجيا الثقافي، وساعدت أعماله العلمية في بناء نظام علم الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر.

إذ كان يعتقد أن «الدراسات التي تبحث في تاريخ الإنسان الحالي بالإضافة إلى عصور ما قبل التاريخ، يمكن استخدامها كأساس لإصلاح المجتمع الإنجليزي».

أعاد تايلور تقديم مصطلح (الأرواحية) «أي الإيمان بالروح الفردية لكل الأشياء والمظاهر الطبيعية» إذ اعتبر أن الروحانية هي المرحلة الأولى من تطور الأديان. ينظر: ويكيبيديا: السير إدوارد بيرنت تايلور .

عن الإلهية السماوية واعتقاد الشعوب القديمة البدائية في إله خالق واحد[1].

ثالثاً: النظرية الاجتماعية في تفسير الدين.

ولد هذا الاتجاه في أواخر القرن التاسع عشر وهو يؤلف مدرسة فرنسية اجتماعية جاء بها (إميل دور كايم) (١٨٥٨ - ١٩١٧م)[2]؛ إذ أعلن عن أن

(١) جغرافية المعتقدات: ص٦٢ - ٦٣.

(٢) دايفيد إميل دوركايم، بالفرنسية: (David Émile Durkheim ١٥ ابريل ١٨٥٨ - ١٥ نوفمبر ١٩١٧) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي. أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا. أبرز آثاره «في تقسيم العمل الاجتماعي» (عام ١٨٩٣)، و«قواعد المنهج السوسيولوجي» (عام ١٨٩٥). أسس رسميًا الانضباط الأكاديمي لعلم الاجتماع -مع دو بويز وكارل ماركس وماكس فيبر. يُستشهد به عادة باعتباره المؤسس الرئيسي للعلوم الاجتماعية الحديثة.

عُني جزء كبير من عمل دوركايم بالكيفية التي يمكن من خلالها للمجتمعات أن تحافظ على إدماجها الاجتماعي في ظل الحداثة، وهي حقبة لم تعد الروابط الاجتماعية والدينية التقليدية موجودة فيها، إذ نشأت فيها مؤسسات اجتماعية جديدة. كان أول عمل اجتماعي رئيسي له هو «قسم العمل في المجتمع» (١٨٩٣). في عام ١٨٩٥، نشر «قواعد النهج الاجتماعي» وأنشأ أول قسم «علم اجتماع أوروبي»، ليصبح أول أستاذ لعلم الاجتماع في بلده فرنسا.

في عام ١٨٩٨، أسس مجلة «السنة الاجتماعية». تُعد دراسة «الانتحار» لدوركايم (١٨٩٧) -وهي دراسة لمعدلات الانتحار بين السكان الكاثوليك والبروتستانت- رائدة في مجال البحوث الاجتماعية الحديثة، وساعدت على تمييز العلوم الاجتماعية عن علم النفس والفلسفة السياسية. قدم في كتابه «الأشكال الأولية للحياة الدينية» (١٩١٢) نظرية دينية تقارن الحياة الاجتماعية والثقافية في المجتمعات الأصلية والحديثة وتحسين «الوضعية التي حددها».

انشغل دوركايم بقبول علم الاجتماع كعلم شرعي. «الأصل أوغست كونت»، وتعزيز ما يمكن اعتباره شكلًا من أشكال الواقعية المعرفية، وكذلك استخدام نموذج فرضي استنتاجي في العلوم الاجتماعية.

كان علم الاجتماع بالنسبة له علم المؤسسات، إذ فهم هذا المصطلح بمعناه الأوسع على أنه

الديـن ظاهـرة اجتماعيـة (أشـكال الحيـاة الدينيـة الأولى، النظـام الطموطمـي في أسـتراليا)، وانتقـد المذهبـين الطبيعـي (Naturism) والـروح (Animism) في أصـل الديـن، واعتقـد أن المعتقـدات الدينيـة، لم تتولـد لا بمراقبـة الإنسـان للطبيعة الخارجيـة ولا بمراقبتـه للطبيعـة الخاصـة بـه، فهـذه المعتقـدات أمكـن تواجدهـا في المجتمـع فحسـب (التصـورات ضمـن المجموعـات) والتـي لا تقتبـس بالتجربـة بـل بالوعـي الإنسـاني للوسـط الاجتماعـي.

إن أشـكال المجتمـع المختلفـة ومراحلـه توجـد أشـكالاً مـن الديـن مختلفـة، وبذلـك وجـدت نظريتـه نجاحـاً برغـم مـا انتابهـا مـن أخطـاء، أبرزهـا تأكيـده عـلى خلـود الديـن بـدوام بقـاء المجتمـع.

وظهـرت إثرهـا نظريـات اجتماعيـة أخـرى حـول الديـن مـن وجهـة نظـر نفعيـة، مفادهـا: (أن الأمـر الهـام في الديـن ليـس مـا إذا يسـتجيب لحقيقـة مـا قائمـة بشـكل إيجـابي، بـل لمجـرد مـا إذا كانـت مفيـدة للنـاس أم لا)، وقـد وجـد النـاس الديـن نافعـاً، فهـو إذا حقيقـة وفائدتـه تتجـلى بتنظيـم المجتمعـات وتقديـم العـون،

«معتقـدات وأنـماط السـلوك التـي وضعتهـا الجماعـة وهدفـه اكتشـاف الحقائـق الاجتماعيـة الهيكليـة». كان دوركايـم مـن كبـار المؤيديـن لوظيفـة النسـق الاجتماعـي، والمنظـور التأسـيسي في كل مـن علـم الاجتـماع وعلـم الإنسـان، واعتقـد أنـه يجـب أن تكـون العلـوم الاجتماعيـة كلانيـة بحتـه أي أن علـم الاجتـماع يجـب أن يـدرس الظواهـر المنسـوبة إلى المجتمـع ككل، بـدلًا مـن اقتصـاره عـلى الأفعـال المحـددة للأفـراد.

بقـي دوركايـم القـوة المهيمنـة في الحيـاة الفكريـة الفرنسـية حتـى وفاتـه في عـام ١٩١٧، إذ قـدم العديـد مـن المحـاضرات والأعـمال المنشـورة حـول مجموعـة متنوعـة مـن الموضوعـات، بـما في ذلـك علـم اجتـماع المعرفـة، والأخـلاق، والتـدرج الاجتماعـي، والديـن، والقانـون، والتعليـم، والاحـراف بمعنـاه في علـم الاجتـماع، دخلـت منـذ ذلـك الحـين مصطلحـات دور كايـم مثـل (الضمـير الجمعـي) المعجـم الشـعبي. ينظـر: ويكيبيديـا: أميـل دوركايـم.

وإخراج الناس من الفوضى الاجتماعية[1].

(١) جغرافية المعتقدات: ص٦٤.

المبحث الثالث

فرضية الدراسة وهدفها ومناهج البحث المعتمدة

المسالة الأولى: فرضية الدراسة وهدفها.

أولاً: فرضية الدراسة.

تفترض الدراسة أن كتاب نهج البلاغة وثيقة علمية للعديد من العلوم والمعارف لاسيما فيما يرتبط بالإنسان العربي والبيئة التي نشأ بها والعوامل التي كونت شخصيته.

وأن التطور المعرفي للإنسان قد مرَّ بمراحل متعددة منذ أن وجد الإنسان على الأرض، ومن ثم فقد جهد الأنبياء (عليهم السلام) في نقل الفكر من مستوياته المحدودة في تأمين الطعام والمأوى الى خلق الإبداع وإصلاح الحياة وإنمائها وربط هذا الفكر بالله تعالى وطاعته والامتثال لأمره فبذلك تتحقق الحياة الكريمة. ومن ثم فان مراحل تطور الفكر والاعتقاد التي مرّ بها الإنسان العربي لا سيما في مكة بوصفها محل الأنبياء (عليهم السلام) في التوجه الى الله تعالى وموضع الحرمة والالتجاء في دفع الضُر وجلب المنفعة فشكلت بذلك رمزية دينية وعقدية وإن تعددت المفاهيم والرؤى فيما يعتقد به الإنسان العربي وامتزاج معتقداته بما هو نابع من مفاهيم الرسالات السماوية أو بما نشأ عِبْرَ الأساطير والخيالات والأهواء .

وقد تناول أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطابه الإصلاحي للفكر والعقيدة في جمع من الناس والصحابة بعد أن عصفت بهم المتغيرات الجديدة منذ اجتماعهم في السقيفة وما أفرزته من نتائج، فذَّكْرَهُم بما كانوا عليه من الفكر والعقيدة والدين والأخلاق قبل البعثة، وتأثرهم بالأساطير العالمية والمعتقدات الوثنية الوافدة، وبينَ أليات تطوير فكر الإنسان وجهد الأنبياء (عليهم السلام) في ذلك؛ ورَكَّزَ في خطابه على بيان جهد النبي (صلى الله عليه وآله) في نقل الناس من التردي الفكري الى الرقي بفضل تلك الجهود الجبارة التي بذلها، فكان خطابه وثيقة حية عن تأثر العرب بالميثولوجيا العالمية في عقائدهم وتنوع الوثنية وضروبها المتعددة في جميع مفاصل حياتهم.

ثانيا: هدف الدراسة.

تكمن غاية الدراسة وهدفها ضمن مجموعة من النقاط، وهي على النحو الآتي:

١ـ إنَّ وظيفة الباحث والدارس اليوم، هي أعادة قراءة الموروث الإسلامي ضمن منظومة التحليل العلمي والمعرفي المرتكزة على القراءة المتأنية والمنصفة دون الخروج عن ثوابت القرآن والعترة النبوية (عليهم السلام) وهما الثقلان اللذان أمر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بالتمسك بهما لضمان عدم الانحراف عن الحق.

٢ـ الإثراء المعرفي في كشف الحقائق العلمية وأثره في تصحيح الموروث الثقافي والفكري.

٣ـ التأصيل لمنهج المزواجة المعرفية والبينية بغية الخروج بنتائج متجدده للعلوم الإنسانية.

٤ـ محاولة تصحيح مسار الأنساق الثقافية المكبلة للرؤية العلمية المرتكزة على تحرر الذهن من الأضغان وازدراء الأديان فما زال الكثير من المسلمين وبفعل هذه الأنساق الثقافية يزدرؤون مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ومن سار بهديهم فكيف ببقية الأديان والمذاهب والفرق والثقافات العالمية.

٥ـ إنّ عيّنَة الدراسة -التي بين أيدينا- وغيرها، مما وفقنا الله تعالى لكتابته، لا تستهدف أي شخص بذاته وإنما الحقيقة ومقدماتها ونتائجها، وإنْ كانت مريرة على الآخر.

وقد اَعتمدتُ في هذا المنهج على هدي أمير المؤمنين الإمام علي (عليه الصلاة والسلام) حينما توجه إليه الحرث بن حوط الليثي، قائلا:

(أترى أن طلحة والزبير، وعائشة اَجتمعوا على باطل؟ فقال علي (عليه السلام): «**يا حار أنت ملبوس عليك، إنَّ الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال، وبإعمال الظن، أعرف الحق تعرف أهله، واَعرف الباطل تعرف أهله**»)[1].

المسألة الثانية: معنى الدراسة البينية.

اَعتمدنا في هذه الدراسة على أهم الطرق العلمية في بناء النتائج المعرفية والفكرية؛ إذ تعد الدراسات البينية من أهم ما توصلت أليه المناهج العلمية في طرق جمع المعلومة وإعادة بلورتها في نتاج معرفي جديد يرتكز على الممازجة بين الحقول المعرفية المتعددة للوصول الى نتاج معرفي وفكري جديد يمكن الباحثين

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٢ ص٢٧٤؛ البيان والتبيان للجاحظ: ص٤٩١؛ تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢١٠

والدارسين من فهم مادة البحث سواء أكانت هذه المادة البحثية هي الإنسان وما يصدر عنه أو ما يختلج في مكنون نفسه ضمن العلوم الإنسانية.

وذلك أن الهدف من الدراسات البينية هو (تعظيم الاستفادة من التوجهات الفكرية للتخصصات المشاركة وتحقيق الإبداع في طرق التفكير والتكامل المعرفة وليس وحدتها)[١].

مما يحقق أيضا (تكامل المعارف الإنسانية على اَختلاف مجالاتها لتظهر علوم وكشوف جديدة نافعة للبشرية)[٢].

وهذا ما سعت إلى تحقيقه الدراسة عِبْر الممازجة بين الحقول المعرفية المتعددة بغية الوصول إلى نتائج جديدة في قضية بلغت من الأهمية بمكان ما جعلها متجددة في البحث والدراسة ألا وهي ظلامة بضعة النبوة وصفوة الرسالة فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها)؛ وما عَيّنَة الدراسة التي بين أيدينا إلاَّ أحد الشواهد المتجدد في أروقة الفكر وحقوله المعرفية، لاسيما الحقل العقدي الذي عليه قيام العلاقة مع الله تعالى ورسوله الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم).

المسألة الثالثة: حقول الدراسة المعرفية ومجالات البحث.

اَستلزمت الدراسة الولوج الى حقول معرفية، ومناهل علمية عدة، وهي على النحو الآتي:

---

(١) تزاوج الإختصاصات، نجيب عبد الواحد؛ ٣يونيو٢٠١٧؛الدراسات البينية التعليم العالي.

(٢) صحيفة المدينة، يوم الاثنين، ٢٨شوال-١يوليو٢٠١٩.

الحديث النبوي، والتفسير، والسيرة، والأخلاق، والتاريخ الإسلامي، والعقيدة، والاجتماع، والميثولوجيا، وغيرها كما سمير بيانه أثناء الدراسة.

المسألة الرابعة: مناهج البحث المعتمدة في الدراسة.

اَعتمدت في هذه الدراسة على ثلاثة مناهج بحثية، وهي: المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، وذلك لدراسة المعطيات التفسيرية، والروائية، والعقدية، والتاريخية، والسيرية، والثقافية، عبر اَستنطاق النصوص، والأحداث، بغية الوصول الى نتائج وكشوفات معرفية جديدة، تسهم في إصلاح الإنسان والمجتمع والرجوع به الى هويته القرآنية والنبوية، والتمسك بالثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته (عليهم السلام).

فلم ولن يضل من تمسك بهما حتى يردا على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عند الحوض؛ عهد معهود من الله لنبيه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن أبى وأعرض عن ذلك فلن يضر الله عزّ وجل.

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ * أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾ [إبراهيم/ ٩].

الفصل الأول

كاشفية أقوال الإمام علي (عليه السلام) عن أثر الميثولوجيا العالمية في معتقدات العرب وحاكمية الوثنية.

توطئة:

إنّ من النصوص الشريفة التي وردت في نهج البلاغة والتي تتحدث عن تأثر الناس بالأساطير وأنْ لم تعرف آنذاك بهذه التسمية لكنها محددة عبر المفهوم والمصاديق الخارجية في انحرافها عن عبادة الله تعالى بفعل المتغيرات التي أوجدتها الأهواء النفسية والميولات الشخصية عند البعض ممن عاصر الأنبياء (عليهم السلام) في البحث عن الرئاسة والسلطة الدينية والتحكم بعقول الناس فمزجوا معتقداتهم بالأوهام وسنوا لهم الأحكام ونشروا بينهم الجهل وحثوهم على النفرة والقتل كي يسودوا البلاد ويتحكموا بالعباد.

ويرشد النص الشريف عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) -وهو يخبر الناس عن علة ابتلاء نبي الله آدم (عليه السلام) وخروجه من الجنة واقتضاء الأمر الإلهي بنزوله الى دار البلاء والاختبار- أن هذه الحالة العامة التي عليها معظم الناس كانت مصاحبة لبعث الأنبياء (عليهم السلام) مما يكشف عن الممازجة بين مفاهيم العبادة لله وطاعته ومفاهيم عبادة الشيطان ورموزه في الأصنام ومختلف سبل الوثنية وأشكالها.

فكان الأصل في وقوع الفتن والانحراف عن جادة الحق وهلاك الناس منذ أن بعث آدم والى الخاتم (صلى الله عليه وآله)، بل والى انقضاء الدنيا هو الشبهات، فقد استحوذ الشيطان على بني آدم (عليه السلام) منذ أن أقدم ولده قابيل على قتل أخيه هابيل وشتت عقول الناس وسول لهم في أتباع الباطل ونشر الجهل وشياع الوثنية والعقائد المخالفة لنهج أبيه (عليه

السلام)، وفي ذلك قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) فيما جرى على الناس منذ آدم (عليه السلام):

«واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمُقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُخْلِ الله سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَه أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَه مَنْ قَبْلَه عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ إِلَى أَنْ بَعَثَ الله سُبْحَانَه مُحَمَّداً، رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله) لإِنْجَازِ عِدَتِه وإِتْمَامِ نُبُوَّتِه»[1].

ويرشد قوله (عليه السلام) الى مناشئ تأثر الأنسان بما يعترضه من شؤون الحياة في طلب العيش، ودفع الضرر من الأوبئة والأمراض والفناء، أي الموت فهو أعظم شيء يهابه الأنسان ويحذر منه فأتبع في الخلاص منه الأوهام والظنون وسعى الى ما ينجيه من الموت وتتابع الأحداث عليه في موارد عيشه وبقاء ذويه ومن يأنس بهم من أنسان أو حيوان.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى، ص٤٤ بتحقيق صبحي الصالح.

ومن ثم استغل بعض الناس هذه المؤثرات الفكرية وبثّوها بينهم فبدل أكثرهم عهد الله والتجئوا الى الأوثان والأصنام فجعلوها أندادا لله تعالى، وهو ما أشار إليه الإمام (عليه السلام):

«لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه».

وهو ما سعى الى معرفته علماء الأنثروبولوجيا والميثولوجيا، أي معرفة تلك العوامل التي جعلت الأنسان يعتقد بوجود قوى غير مرئية تتحكم في عيشه وشؤونه الخاصة، وإن كان هؤلاء لا يفرقون بين أصول عقيدة الأنسان بهذه القوى، فهل كان الإنسان يرى أن المؤثر في الحياة والمتحكم بها هو الله تعالى أم هذه الأصنام والأوثان، أم أنها شريكة في التأثير.

وهل كانت الديانات السماوية لها التأثير في المعتقد أم لا، أي هل تأثر الإنسان بالأنبياء (عليهم السلام) أم لا؟

لم ترد إجابات عن هذه التساؤلات مما قدم قراءة ناقصة وذلك لاهتمام علماء الميثولوجيا والأنثروبولوجيا بأثر الأسطورة في المكوّن العقدي للإنسان وكأنه بمعزل عن الديانات والأنبياء (عليهم السلام).

من هنا تظهر الحاجة الماسة الى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في فهم المكوّن العقدي للإنسان قبل البعثة، فيقول (عليه السلام):

وفيها يقول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، أي في بيان طريقة تعامل الأنبياء (عليهم السلام) في إخراج الأنسان من دائرة الاعتقاد بالأساطير ومنشئها والقوى اللّا مرئية ومصدرها:

«ووَاتَـرَ إِلَيْهِـمْ أَنْبِيَـاءَه لِيَسْـتَأْدُوهُمْ مِيثَـاقَ فِطْرَتِـه، ويُذَكِّرُوهُـمْ مَنْـسِيَّ نِعْمَتِـه، ويَحْتَجُّـوا عَلَيْهِـمْ بِالتَّبْلِيـغِ، ويُثِيرُوا لَهُـمْ دَفَائِـنَ الْعُقُـولِ، ويُرُوهُـمْ آيَـاتِ الْمُقْـدِرَةِ، مِـنْ سَـقْفٍ فَوْقَهُـمْ مَرْفُـوعٍ ومِهَـادٍ تَحْتَهُـمْ مَوْضُـوعٍ، ومَعَايِـشَ تُحْيِيهِـمْ وآجَـالٍ تُفْنِيهِـمْ وأَوْصَـابٍ تُهْرِمُهُـمْ، وأَحْـدَاثٍ تَتَابَـعُ عَلَيْهِـمْ»[1].

أما خصوصية تأثر العرب بالأساطير العالمية فيعود الى جملة من الأمور، منها:

البيئة الجغرافية للجزيرة العربية، فلقد ساعدت الصحراء وما أحيط بها من مظاهر بيئية كالجبال والوديان، فضلاً عن طبيعة الحياة التي دفعت الكثير منهم إلى الترحل، وما يرافقها من تعاقب مظاهر الليل والنهار، وما تستوطنه بيئتهم من بعض الحيوانات البرية والجوارح، كل ذلك كان عاملاً مهماً لخلق كثير من المعتقدات التي أفرزتها قوة الخيال الخصبة الناشئة من الهدوء والصمت الذي يسيطر على الصحراء مما جعل الإنسان العربي دقيق الملاحظة واسع الأفق يتوهم الأشياء غالباً ويسعى في تصديقها ولعله يبحث عن حقيقتها.

(فالأوهام تشيع وتجد قبولها في النفوس؛ لأن الناس يتشابهون فيما يرجع إلى اللاشعور والغرائز وأن اختلفت طبقاتهم، فهم يتشابهون في الوجدان والشهوات والمشاعر.

وفي الجماعات نزعات تتيح للأوهام والخرافات أن تذيع، وذلك لأن الجماعة سريعة التصديق والاعتقاد لاسيما إن كانت تغلب فطرتها على ثقافتها فتذهب

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى، ص٤٤ بتحقيق صبحي الصالح.

في تفكيرها وتعليلها وقياسها مذاهب غيبية)[١].

ولعل الموروث العقّدي الذي تكون لابن الجزيرة العربية - بوصفها مهد الرسالة المحمدية وأكثرها تنوعاً للمعتقدات والديانات - قد نشأ أيضاً من خلال ما نقل إليه من قصص زخرت بها الثقافة الإنجيلية والتوراتية، فضلاً عما أحيط بها من دول وأمم عرفت هذا التنوع من قبل، كبلاد الرافدين وبلاد الرومان والإغريق والفرس مما عزز خصوبة الاعتقاد بما يرد على الإنسان العربي من ثقافة وافدة جعلت منه شخصية تمتاز بكم هائل من الاعتقادات لتشكل خزيناً عقائدياً متنوعاً ورثه كابر عن كابر.

ليشكل كل ذلك تنوعاً من الديانات الخاصة بمجتمع مكة وما حولها برزت من بينها عبادة الأوثان مما يرسم لدينا تصوراً واضحاً عن حجم المعاناة والجهاد الذي بذله الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) في محاربة كل هذا الكم المتنوع من المعتقدات والديانات التي ظهرت في الجزيرة وبالأخص المجتمع المكي؛ إذ قد يتصور البعض سهولة القضاء على هذه المعتقدات الفاسدة وإمكانية تغييرها بمعتقد جديد ودين جديد، ظاناً أن باستطاعة (الإنسان أن يخرج من دائرة المعتقد عندما يعدل عن عقائد انتقلت إليه وراثة، وسوف نرى أنه كلما حاول أن يتخلص منها غاص فيها أكثر من ذي قبل)[٢].

---

(١) المعتقدات الشعبية في الموروث الشعري العربي القديم لعبد الرزاق خليفة: ص٥.

(٢) المصدر السابق: ص٦ نقلًا عن: الآراء والمعتقدات، غوستاف لوبون، ترجمة محمد عادل زعيتر، المطبعة العصرية، مصر، ص١٠.

ولـذا: كان لزامـاً علينـا مـن أجـل تكامـل الدراسـة وتحقيـق الرؤيـة البحثيـة الخـوض في علـم الميثولوجيـا واسـتخلاص النتائـج بوصفهـا المحطـة الأولى التـي نتـزود منهـا مـادة البحـث، كـي نضـع بـين يـدي القـارئ الكريـم صـورة واضحـة عـن الأسـس والجـذور التـي سـاعدت عـلى نشـوء المعتقـدات الوثنيـة وعبـادة الأصنـام في الجزيـرة العربيـة وتأثرهـا بالميثولوجيـا العالميـة حتـى أصبحـت الديانـة السـائدة في المجتمـع، ممـا يعـزز لدينـا الاعتقـاد بصعوبـة الجهـد الـذي قـام بـه رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) في محاربـة الوثنيـة بمنظوريهـا التوحيـدي والطاغـوتي فشـكل بذلـك سلسـلة مـن الجهـاد الرسـالي الـذي بـدأه نبـي الله آدم، وأقامـه إبراهيـم الخليـل (عليهـما السـلام) وشـيّده المصطفـى (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) ووصيـه أمـير المؤمنـين الإمـام عـلي بـن أبي طالـب (عليهـما السـلام)، كـما سـيمر عِـبْرَ الدراسـة إن شـاء الله تعـالى.

المبحث الأول

محددات عقائد العرب قبل البعثة وأثر الميثولوجيا العالمية في تنوع معتقداتهم وتأثر الإنسان العربي بتقديم الأضاحي وجذوره العقدية

المسألة الأولى: أثر علم الميثولوجيا في فهم المعتقدات ومدى توافقه مع الرؤية القرآنية.

أولاً: معنى الأسطورة بين الرؤية القرآنية والرؤية الميثولوجية.

قبل البدء في بيان رؤية الميثولوجيين حول الأسطورة والأساطير نتوقف أولاً عند القرآن الكريم لنستمد منه الرؤية المعرفية الحقيقية لأثر الأساطير والأسطورة في تكوين ذهنية الإنسان العربي وأنماط تفكيره فيما يتلقاه من معلومة جديدة تخرج من فم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقوم ببناء الإنسان بناءً فكرياً جديداً كي ينعكس على مفاصل حياته الدنيوية والأخروية.

١ - قال تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام / ٢٥].

٢ - وقوله تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[الأنفال: ٣١].

٣ – قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل/ ٢٤].

٤ – وقوله سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون/ ٨٣].

٥ – قال تعالى:

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان/ ٥].

٦ – وقوله عزّ وجل:

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النمل/ ٦٨].

٧ – وقال تعالى:

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف/ ١٧].

٨ – وقوله سبحانه وتعالى:

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم/ ١٥؛ المطففين/ ١٣].

وهذه الآيات تكشف عن جملة من الأمور، وهي:

١ - هيمنة الأساطير على عقلية الإنسان العربي في الجزيرة قبل الإسلام.

٢ - إن الذين يصفون آيات الله تعالى بالأساطير إنما هم الفئة الغالبة من الناس، وذلك لزرع الشك والشبهات في المجتمع المكي أو مجتمع الجزيرة العربية، والهدف من ذلك تضليل الناس وحرفهم عن الحق.

وهذا يكشف عن خبث سريرتهم التي استحقت الجزاء بأن جعل الله على قلوبهم أكنة، فهم لا يفقهون ما يتلو عليهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو ما نتج عنه اتهام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسحر أي إرجاع الناس إلى دائرة الأسطورة.

٣ - كما تكشف الآيات عن اعتقاد الإنسان العربي بوجود الحياة ما بعد الموت وإنه سيقاد بسبب أعماله إلى عقاب أو نعيم، وأن هذه الأساطير التي كانت سائدة في الجزيرة العربية كثير منها يرتكز على هذا الاعتقاد.

كما نصت عليه الآيات:

١: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النمل/ ٦٨].

٢: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف/ ١٧].

أما رؤية الميثولوجيين للأسطورة فهي (رؤية شعبية قديمة عن الأبطال الخرافيين والآلهة وظاهرات الطبيعة، ومجموعة أساطير أي شعب يدعى: ميثولوجيا)[١].

وقد استعان بعض الباحثين في الميثولوجيا بعلم آخر له علاقة صميمة وتلازمية مع هذا العلم وهو الأنثروبولوجيا، أي: علم الإناسة، أو علم الإنسان، كي يقف على معنى لفظ (الأسطورة) ودلالتها فيقول: (نعني بالأسطورة منظومة دينامية من الرموز والنماذج البدئية والأنساق، منظومة بدئية تنحو - تحت ضغط نسق معين - إلى التشكيل ضمن قصة الأسطورة، هي في البداية ترسيم موقف عقلاني لكونها تستخدم تسلسل الخطاب، الذي تتحول فيه الرموز إلى كلمات، والنماذج إلى أفكار.

فالأسطورة هي عملية إيغال في نسق أو مجموعة أنساق، وكما أن النموذج البدئي يكمن خلف الفكرة، وكما أن الرمز يولد الاسم، يمكننا القول إن الأسطورة ترفد المعتقد أو المنظومة الفلسفية أو - مثلما يقول بريهيه[٢]- القصة التاريخية أو الخرافية)[٣].

وقد وجدت أن هذا الباحث لم يكتف في استحصال معنىً وافٍ عن

---

(١) أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة: ص٥.

(٢) إميل بريهيه، (مواليد ١٢ أبريل ١٨٧٦، توفي في ٣ فبراير ١٩٥٢) فيلسوف فرنسي. اهتماماته كانت في الفلسفة الكلاسيكية، وتاريخ الفلسفة. كتب تاريخ الفلسفة، الذي تُرجِم إلى الإنجليزية في سبع مجلدات. درس بريهيه في جامعة باريس. في عام ١٩٠٨، حصل على الدكتوراه من السوربون بتقديمه أطروحة عن فيلو السكندري كان خلفًا لهنري برجسون في جامعة باريس عام ١٩٤٥. المؤرخ لويس بريهيه كان أخوه.

(٣) اختلاق الميثولوجيا، مارسيل ديتان، ترجمة د. مصباح الصمد: ص٢٢ - ٢٣.

الأسطورة مؤسس ما يعرف بـ (النقد الأنثروبولوجي) ولذا عاد إلى المعجم العربي كي يستل منه حاجته فيقدم للقارئ دلالة أخرى من علم آخر.

فيقول:

(من جهة أخرى وجدنا أن اللغة العربية قد مارست توسيع دائرة اشتقاقاتها المتمحورة حول (الأسطورة) والمنطلقة من حيز المصدر (سطر) فأوجدت أو تقبلت (الأسطورة) (والمؤسطر) مثلا، إضافة إلى الفعل (أسطر).

لكن الكلمات الثلاث الأخيرة تعني على التوالي: التحدث بالأسطورة أو اختلاقها أو تدوينها، ثم من يقوم بذلك، ثم الفعل الدال عليه، وجميع ما ذكرنا يمثل نشاطاً أو شخصاً أو فعلاً يدور في فلك الميثولوجيا أو يلامسه ليس أكثر)[1].

وبغض النظر عن الدلالات المعرفية للمعنى الذي أريد من الأسطورة إلا أنها تشكل حاجة لدى الإنسان الذي وقف حائراً فيما يشاهده كل يوم من مظاهر طبيعية كان الكثير منها - متحكما - حسبما يذهب به الخيال في حياته ونمط معيشته، مما كون لديه الحاجة الماسة إلى استجلاب الخير ودفع الضرر الذي أخذ يحيط به كلما اتسعت دائرة ارتباطاته الحياتية كالوالدية والمعائشية.

ولذا:

(وجدت الأسطورة لإشباع فهم الإنسان إلى المعرفة، ولتسويغ وجود ما لا يحدّه العقل البشري، ولتقديم الأسباب الكامنة وراء كثير من الظواهر

(١) اختلاق الميثولوجيا: ص٢٩.

التي يراها الإنسان في العالم الواقعي.

من هنا كان دور الميثولوجيا الفاعل لدراسة علاقة الإنسان بعالم الخوارق والأساطير، وعبرها انتقلت إلينا تجارب الآخرين وخبراتهم المباشرة)[١].

ومن هنا أيضاً:

وجدنا الحاجة إلى دراسة المجتمع المكي بشكل خاص والمجتمع العربي في الجزيرة (لأن دراسة المجتمعات الإنسانية القديمة تبين أنه، بالنسبة إلى الإنسان البدائي كانت الأسطورة تعني قصة حقيقية، بل ومقدسة أيضا، لأنها تمثل الحاجات الدينية والأحكام الخلقيّة)[٢].

ولعل هذه الغايات وغيرها قد دفعت الإنسان إلى دراسة هذه الأساطير وتحليلها وفهم مكامنها، فنشأ بذلك علم (Mythologio) ليختص (بدراسة العقائد التي وجدت لدى الشعوب القديمة والسابقة، لنزول الأديان السماوية المعروفة، وبعض علماء الأساطير يعدّها بمنزلة أديان قديمة كتبت بلغة الشعر، وكانت الشعوب القديمة ترتّلها في ساحات المدن القديمة في مناسبات معينة.

ويقال إنها سميت أساطير؛ لأنها أولاً سطّرت على الآجر (الطين المشوي) في العراق القديم، وثانياً، لتمييزها عن الأديان السماوية، لذلك، يقال، أساطير الأولين، أي أديانهم الدنيوية لا السماوية.

---

(١) الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، د. ميخائيل مسعود: ص٢٣.

(٢) المصدر نفسه.

ومن أكثر الشعوب القديمة التي اشتهرت بأساطيرها، والتي يذكرها الدارسون، الشعب اليوناني القديم، وشعوب بلاد ما بين النهرين (العراق).

وتجدر الإشارة إلى أن الأسطورة (Mythe) غير الخرافة (Fiction) التي تعني وهماً لا رابطة اجتماعية دنيوية كما تفيد الأسطورة)[1].

ثانياً: حيرة علماء الميثولوجيا في الترابط بين الطقوس والأساطير وأيهما أقدم من الآخر.

لقد أفادت الدراسات الميثولوجية من خلال مراقبتها لتلك المعتقدات وما يحيط بها من عوامل نفسية واجتماعية وبيئية في التوصل إلى وجود علاقة تلازمية بين هذه الأساطير والطقوس، حتى احتار كثير من الباحثين في الوصول إلى معرفة، أيهما كان مقدماً على الآخر؟ هل الأساطير مقدمة على الطقوس؟ أو أن الطقوس مقدمة على الأساطير؟

(وقد ربط بعضهم نشأة الأسطورة بالطقوس والسحر، بينما ذهب البعض الآخر إلى أن الأسطورة ظهرت بعد الطقوس، وأن الطقوس أسبق منها في الظهور؛ وأكد بعض النقاد العرب على أن الأسطورة هي الجزء القولي المصاحب للطقوس البدائية)[2].

على أننا لو تتبعنا الطقوس التي تلازم الأساطير لوجدنا أنها ترتكز على أمر واحد، وهو تقديم الأضاحي لاستجلاب الخير لصاحب الأضحية، أو دفع الضرر المتمثل في الأمراض، حيث يعتقد بأنها إما تكون سبباً لغضب

---

(١) اختلاق الميثولوجيا، مارسيل ديتان: ص٣١٣.

(٢) الأساطير والمعتقدات العربية: ص٢٧.

الآلهة أو الأرواح أو الجن أو الشيطان.

لقد (لعبت الأضاحي دوراً كبيراً في كثير من الأديان والميثولوجيات القديمة، فقدامى الإغريق كانوا يضحون بالحيوانات (أمثال الماعز والخراف والخيول والكلاب والأبقار) وبعد أن علمهم بروميثيوس كيف يخدعون الآلهة ويضعون الدهن فوق العظام قبل أن يخيروا الآلهة في التي يريدونها وصاروا يأكلون القسم الأعظم من الأضاحي الحيوانية ليشاركوا -حسب معتقدهم- الآلهة ويتواصلوا معها.

لكن الأزتيك (المكسيك) قبل الغزو الإسباني في القرن السادس عشر كانوا يقدمون الأضاحي البشرية لرب الشمس أو الرب شمس بعدد من الأضاحي غير محدودة العدد فقد تصل في السنة الواحدة إلى ٢٠,٠٠٠ ضحية.

وفي المرحلة القديمة من تاريخ الهندوسية، أي في المرحلة الفيدية، كان الكهنة الهندوس يقدمون البشر والحيوانات والنباتات بأزمنة متتالية، كما مارس الصينيون تقديم الأضاحي البشرية وقدموا القرابين من الحيوانات المنزلية ومن الطعام للآلهة والأجداد، إلا أن الأضاحي لم تمارس قط في البوذية، فالقرابين كانت من البخور والشموع المضاءة ومن الأزهار، ترفع (مع الصلاة وطلب الغفران) إلى بوذا.

وليست الحضارة الأزتيكية وحدها التي تضحي بالبشر من أجل استمرار دورة الخصب، بل إن أكثر الشعوب عمدت إلى إشباع الأرض بالضحية البشرية، وقد عرف قدامى المصريين هذه الأضاحي، وما (عروس النيل)

سوى مظهر من مظاهر الأضاحي البشرية، وحتى في الميثولوجيا اليونانية جرت العادة أن يقدم الملك ابنته ضحية للوحش الذي يهاجم المدينة.

إن الأزتيك لم يبتكروا جديداً في الأضاحي البشرية، إلا في الطرائق التي يقدمونها قرابين على المذبح، فالقربان البشري لم يكن هواية، بل كان حلاً لمشكلة ليس لها حل إلا بتلك القرابين، وبما أن المشكلات كثيرة ومتنوعة، فقد كانت الأضاحي كثيرة ومتنوعة، وتلعب الطبيعة الدور الأكبر في الأضاحي البشرية)[1].

وبناءً على ذلك فقد تنوعت هذه الأضاحي بتنوع طقوس الأساطير أو بحسب القوة التي يراد استرضاؤها، ولو نظرنا إلى حضارتين متباعدتين الأولى في شرق الأرض أي بلاد الرافدين، والأخرى في أقصى الغرب حيث حضارة الإنكا، في -أميركا الجنوبية- ثم قارنا فيما بين هذه الطقوس لوجدنا الأضاحي البشرية هي الطقس الغالب على هذه الأساطير حتى إذا جئنا إلى مجتمع الجزيرة انحصرت الطقوس في تقديم الأضاحي الحيوانية التي تعد بالنسبة إلى حضارة الرافدين حالة تطويرية في الميثولوجيا الرافدية.

فـ: (في لوحة سومرية وجدت في الخرائب السومرية قد نقش عليها بعض الصلوات وكلام معناه: «إن الضأن فداء للحم الآدميين به افتدى الإنسان حياته»)[2].

أما كيف كانت الطقوس الرافدية:

---

(١) الميثولوجيا العالمية، حنّا عبّود: ص٤٣.

(٢) جغرافية المعتقدات والديانات، د. محسن عبد الصاحب المظفر: ص١٤٩.

لقد (بنى السومريون عدداً من المعابد في المدن والأقاليم، وهي مكان الآلهة والعبادة والكهنة، وتقديم القرابين من مال وطعام وثيران ودجاج وبلح وتين، ويقدم الموسورون أكثر من ذلك، وغدا الكهنة يستفيدون كثيرا من ذلك، وكانت الآلهة على ما يبدو تفضل لحم الآدميين لكن تغيرت أخلاق الناس وأوضاعهم فقد اقتنع الآلهة بلحم الحيوان)[١].

(وتتحدث مسلة الملك نرام سين عن قسوته المفرطة وسر تعلقه بآلهة الوهم كي يكسب منها الأراضي المجاورة، وحبوب حقول الفقراء، والزيت الذي سيصنع منه قبراً للمراكب التي ستصل دلمون ويشيد منه الزقورات، ومدن العبارة التي ستحتفي بألفية العزيز آنو وهو يستقبل مع كل بداية لسنة قمرية واحدة من أجمل عذارى أور ترمى له في نهر الفرات، ليأكلها السمك والسلاحف، قبل أن يتذوّق جسدها وهو على قمة المسلة)[٢].

فهكذا كان مصير المرأة العراقية ابنة بابل تقدم ضمن طقوس أسطورة آلهة الوهم واستجلاب رضاها بأن ترمى أجمل فتاة عذراء في نهر الفرات، كي تكون طعاماً للأسماك وسلاحف نهر الفرات.

في مقابل هذه الطقوس الرافدية في حضارة سومر نجد الأضاحي البشرية في أقصى الغرب متشابهة مع تقديم الفتيات، ففتاة أرض أور هي الأفضل في الأضاحي واسترضاء الآلهة، وفتيات الإنكا هن الأفضل من بين الأضاحي، لكن الفارق يكون في الأسلوب فالمرأة في أسطورة نرام سين تموت غرقاً دون

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الميثولوجيا من نرام سين إلى بول برايمر، نعيم عبد مهلهل: ص١٠ - ١١.

أن تعاني الألم التي تعانيها فتاة الإنكا التي لم تسلم بعد قتلها من التمثيل بجسدها.

فهؤلاء (الفتيات المختارات أو راهبات المعبد، فإن التي تقدم منهن قرباناً تشنق شنقا، ثم تذبح من عنقها، ثم ينزع قلبها من صدرها)[١].

ثم يؤتى بهذا القلب ليرمى به في نار المحرقة، ولعل العثور على أحدى هذه الفتيات في البيرو وهي من عذارى المعبد على مذبح في قمة جبل، ما تزال هناك كمومياء، فنزلوا بها من ارتفاع ٦٠٩٥ مترا فوق سطح البحر[٢]، لخير شاهد على تلك الطقوس الظالمة التي تتحكم فيها الكهنة وأساطيرها.

المسألة الثانية: بعض مظاهر الطقوس لدى العرب قبل الإسلام وتأثرها بالأساطير العالمية فكانت الأضاحي أبرز مظاهرها.

لم تنفك الطقوس في الميثولوجيا التي سادت في الجزيرة العربية عن مسارها العالمي في الأمم كافة، أي تقديم القرابين لمن يعتقد فيه الضرر أو النفع.

إلا أن أغلب مظاهر القرابين كادت تكون في العبادة الوثنية دون غيرها؛ إذ تعد (تجربة متقدمة تقول باستمالة هذه الأرواح الشهيرة عن طريق تقديم الذبائح لها؛ فتكون هذه الأرواح كالإله الغاضب الذي يسترضيه الشعب بتقديم ذبيحة له)[٣].

في حين انفردت خزاعة من بين القبائل العربية بعبادتها للجن (وتصورها

---

(١) الميثولوجيا العالمية: ص٧٥.

(٢) الميثولوجيا العالمية: ص٧٦.

(٣) الأساطير والمعتقدات العربية: ص٨٠.

كائنات غيبية ومخلوقات غريبة تقدم لها القرابين)[١].

وعادة تكون هذه الأضاحي من الجمال بوصفها حيواناً ملاصقاً للحياة في الجزيرة العربية، ثم يأتي من بعدها الضأن.

أما تقديم الأضاحي البشرية في المعتقدات العربية فلم يلقَ نمواً عقدياً واجتماعياً، ولعل الأمر يعود إلى احتياج العشائر والقبائل العربية إلى العنصر الذكوري في تكوينها وبنائها الاجتماعي؛ لما يشكله الرجل من قوة داعمة وساندة لأبناء عشيرته؛ أو لعل مرد ذلك إلى نسبة من الوعي عند الإنسان العربي لاسيما المجتمع المكي ورسوخ شأنيته المرتبطة بالله تعالى في فكر أبناء مكة وما جاورها من القبائل التي تحج إليه في كل عام، فضلا عن أعتناق الكثير منهم دين إبراهيم (عليه السلام) فكانوا موحدين لله تعالى.

ولعل تقديم عبد المطلب ولده عبد الله (عليهما السلام) للبيت الحرام هو الشاهد الوحيد على الأضاحي البشرية في مكة التي شهدت من قبل حالة مشابهة عند قيام إبراهيم الخليل (عليه السلام) بتقديم أضحيته البشرية لبيت الله الحرام حينما وضع السكين على عنق ولده إسماعيل (عليه السلام).

ليكون بذلك النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) (ابن الذبيحين) وليفدى كل منهما بذبح عظيم فإسماعيل فداه الله بكبش من الجنة وعبد الله فداه عبد المطلب بعد القرعة بمائة رأس من الإبل.

وقد أخرج الشيخ الصدوق (رحمه الله) عن الإمام الرضا (عليه السلام) وقد

---

(١) جغرافية المعتقدات والديانات لمحسن عبد الصاحب المظفر: ص١٧٠.

سأله علي بن الحسين بن فضال عن معنى قول رسول (صل الله عليه وآله):

«**أنا ابن الذبيحين**»[١] .

فقال (عليه السلام):

«يعنى إسماعيل بن إبراهيم الخليل (عليه السلام) وعبد الله بن عبد المطلب أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله به إبراهيم ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ وهو لما عمل مثل عمله ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ولم يقل: يا أبت افعل ما رأيت ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

فلما عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح يأكل في سواد ويشرب في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد ويبول في سواد ويبعر في سواد وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاما وما خرج من رحم أنثى وإنما قال الله عز وجل:

﴿كن فيكون﴾ فكان ليفدي به إسماعيل فكل ما يذبح في منى فهو فديه لإسماعيل إلى يوم القيامة؛ فهذا أحد الذبيحين، وأما الآخر:

فإن عبد المطلب كان تعلق بحلقه باب الكعبة ودعا الله أن يرزقه عشرة بنين ونذر لله عز وجل أن يذبح واحدا منهم متى أجاب الله دعوته، فلما بلغوا عشرة، قال: قد وفى الله لي فلأوفين لله عز وجل فادخل ولده الكعبة وأسهم

---

(١) مستدرك الحاكم النيسابوري: ج٢ ص٥٥٥؛ تخريج الأحاديث للزيلعي: ج٣ ص١٧٨؛ فتح الباري لابن حجر: ج١٢ ص ٣٣٥ .

بينهم، فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان أحب ولده إليه، ثم أجالها[١] ثانية فخرج سهم عبد الله، ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله، فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك، واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن، فقالت له ابنته عاتكة:

يا أبتاه أغدر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل أبنك، قال: وكيف أغدر يا بنية، فإنك مباركة؟ قالت: أعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على أبنك وعلى الإبل واعط ربك حتى يرضى.

فبعث عبد المطلب إلى إبله فأحضرها، وأعزل منها عشرا، وضرب السهم على الإبل فكبرت قريش تكبيره أرتجت لها جبال تِهامة[٢] فقال عبد المطلب: لا حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات، فضرب ثلاثا كل ذلك يخرج السهم على الإبل، فلما كانت في الثلاثة اجتذبه الزبير وأبو طالب وأخواتهما من تحت رجليه فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذي كانت على الأرض، واقبلوا يرفعونه ويقبلونه ويمسحون عنه التراب، فأمر عبد المطلب أن تنحر الإبل بالحزورة ولا يمنع أحد منها.

وكانت مأة، فكانت لعبد المطلب خمس من السنن أجراها الله عز وجل في الإسلام، حرم نساء الآباء على الأبناء، وسن الدية في القتل مأة من الإبل، وكان يطوف بالبيت سبعه أشواط، ووجد كنزا فاخرج منه الخمس، وسمى زمزم حين حفرها سقاية الحاج، ولولا أن عمل عبد المطلب كان حجة وأن

---

(١) أي أدارها: قال في الصحاح: الإجالة: الإدارة.

(٢) تِهامة بالكسر مكة شرفها الله تعالى وأرض معروفة .

عزمه كان على ذبح أبنه عبد الله شبيه بعزم إبراهيم على ذبح أبنه إسماعيل لما افتخر النبي (صلى الله عليه وآله) بالانتساب إليها لأجل انهما الذبيحان في قوله (صلى الله عليه وآله): «أنا ابن الذبيحين».

والعلة التي من أجلها دفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها دفع الذبح عن عبد الله، وهي كون النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم في صلبيهما، فببركة النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) دفع الله الذبح عنهما، فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم، ولولا ذلك لوجب على الناس كل أضحى التقرب إلى الله تعالى بقتل أولادهم، وكل ما يتقرب الناس به إلى الله عز وجل من أضحية فهو فداء لإسماعيل عليه السلام إلى يوم القيامة»[1] .

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج١ ص ١٨٩-١٩١.

المبحث الثاني

كاشفية أقوال الإمام علي (عليه السلام) عن تنوع المعتقدات قبل البعثة ودواعي نشوئها.

المسالة الأولى: محددات عقائد العرب قبل البعثة في خطاب الإمام علي (عليه السلام) وجهود النبي (صلى الله عليه وآله) في إخراج الناس من الوثنية الى التوحيد.

إنَّ من البداهة بمكان أن يحتاج الإنسان في عملية البناء القيّمي للنفس والأسرة والمجتمع على وفق المنهج القرآني والنبوي، هو كاشفيته للتاريخ وقراءتهُ قراءةً علمية ومنهجية، وذلك (أن التاريخ هو الماضي الحاضر، أي مجموع عوارض الماضي حاضرة بأخبارها، وأن فحص تلك الأخبار عملية تنجز دائماً في الحاضر؛ والتاريخ حاضر بمعنين، الأول: بشواهده، والآخر: في ذهن المؤرخ.

فكثيراً ما نقرأ: لا بد من مقارنة الماضي بالحاضر، والحاضر بالماضي، والعلة في هذه الدعوة والقراءة هي أن موضوع التاريخ هو استخلاص القوانين والعِبْر من الأحداث وآثار الماضي، وهو بهذا يكون، أي التاريخ مدرسة الأخلاق والسياسة:

من هنا: نجد أنّ الحاجة الى خطاب الإمام علي (عليه السلام) في معرفة جهود النبي (صلى الله عليه وآله) في أصلاح الإنسان والمجتمع بعد أن عصفت به الوثنية المختلطة بالأسطورة العالمية من الشرق والغرب ليست حاجة عقدية وشرعية فحسب، وإنّما حاجة أخلاقية وتربوية وبنائية للنفس

والأسرة والمجتمع، فضلاً عن كاشفية هذا الخطاب العلوي في جعل المسلمين ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إلا أنّ هذه الخيرية التي تحدث عنها القرآن لا تتكشف للباحث إلا عِبْرَ معرفة حال العرب قبل الإسلام، وأن الوصول الى هذه المعرفة يتحقق عِبْرَ طريقين، الأول: خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي شاهد الحدث ونقله الى المسلمين، والثاني: عِبْرَ المؤرخ الذي تحكمت فيه الأحداث والسياسة وغيرها.

ومن ثم لم يكن جميع ما نقله المؤرخ مطابقاً للواقع وكاشفا للحقائق، وهو أمر صرّح عنه ابن شهاب الزهري لما طلب منه ملوك بني أمية كتابة السيرة وغيرها من العلوم التي حفظها، لاسيما سنام هذه العلوم وهو الحديث النبوي الشريف، فيقول:

(كنا نكره كتابة العلم، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين)[1].

وفي لفظ آخر: (استكتبني الملوك فأكتبتهم، فاستحيت الله إذ كتبتها للملوك ولا أكتبها لغيرهم)[2].

أما خطاب الإمام (عليه السلام) فقد كشف عن جهود النبي (صلى الله عليه وآله) في إصلاح المجتمع العربي، بعد أن مني العرب بقيم الجاهلية والبؤس والتردي الأخلاقي والاجتماعي والعقائد المختلفة المرتكزة على

(١) سنن الدارمي، باب: التسوية في العلم: ج١ ص١١٠ .
(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر: ص٧٧.

الوثنية والمشوبة بالخوف من الجن والشياطين فضلا عن الصلف والجلف في وسائل العيش في مختلف المناطق لاسيما أرض مكة.

ومن ثم: فقد اشتملت أقواله (عليه السلام) على جملة من الحقائق، فيقول:

١ـ «أَرْسَلَه بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ والْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، والْكِتَابِ الْمَسْطُورِ والنُّورِ السَّاطِعِ، والضِّيَاءِ اللَّامِعِ والأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ واحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وتَحْذِيراً بِالآيَاتِ وتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ، والنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، واخْتَلَفَ النَّجْرُ وتَشَتَّتَ الأَمْرُ، وضَاقَ الْمَخْرَجُ وعَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَى خَامِلٌ والْعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمَنُ ونُصِرَ الشَّيْطَانُ وخُذِلَ الإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُه وتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُه، ودَرَسَتْ سُبُلُه وعَفَتْ شُرُكُه، أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَه ووَرَدُوا مَنَاهِلَه، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُه وقَامَ لِوَاؤُه، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا ووَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ وشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ».

٢ـ قال عليه السلام:

«إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وشَهِيدًا عَلى هذِهِ الأُمَّةِ، وأنتُم يا مَعشَرَ العَرَبِ يومَئِذ عَلى شَرِّ دين، وفي شَرِّ دار، مُنيخونَ عَلى حِجارَة خُشنٍ، وحَيّاتٍ[1] صُمٍّ، وشَوك مَبثوث فِي البِلادِ،

(١) ورد في البحار: (جنادل).

تَشرَبـونَ المـاءَ الخَبيـثَ، وتَأكُلـونَ الطَّعـامَ الجَشـيبَ[١]، وتَسـفِكونَ دِماءَكُـم، وتَقتُلـونَ أولادَكُـم، وتَقطَعـونَ أرحامَكُـم، وتَأكُلـونَ أموالَكُـم بَينَكُـم بِالباطِـلِ، سُـبُلُكُم خائِفَـةٌ، وَالأَصنـامُ فيكُـم مَنصوبَـةٌ، وَالآثـامُ بِكُـم مَعصوبَـةٌ[٢]» ﴿وَمَـا يُؤْمِـنُ أَكْثَرُهُـمْ بِـاللهِ إِلَّا وَهُـمْ مُشْرِكُـونَ﴾ [يوسف:١٠٦])[٣].

٣ـ وقال (عليه السلام):

«بَعَثَـه والنَّـاسُ ضُـلَّالٌ فِي حَـيْرَةٍ، وحَاطِبُـونَ فِي فِتْنَـةٍ، قَـدِ اسْـتَهْوَتْهُمُ الأَهْـوَاءُ، واسْـتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَـاءُ، واسْـتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّـةُ الْجَهْـلَاءُ، حَيَـارَى فِي زَلْـزَالٍ مِـنَ الأَمْـرِ، وبَـلَاءٍ مِـنَ الْجَهْـلِ، فَبَالَـغَ (صلى الله عليه وآله) فِي النَّصِيحَـةِ، ومَـضَى عَـلَى الطَّرِيقَـةِ، ودَعَـا إِلَى الْحِكْمَـةِ والْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ»[٤].

٤ـ وقال (عليه السلام):

«أَرْسَـلَه عَـلَى حِـينِ فَـتْرَةٍ مِـنَ الرُّسُـلِ، وطُـولِ هَجْعَـةٍ مِـنَ الأُمَـمِ واعْتِـزَامٍ مِـنَ الْفِتَـنِ، وانْتِشَـارٍ مِـنَ الأُمُـورِ وتَلَـظٍّ مِـنَ الْحُـرُوبِ، والدُّنْيَـا كَاسِـفَةُ النُّـورِ ظَاهِـرَةُ الْغُـرُورِ، عَـلَى حِـينِ اصْفِـرَارٍ مِـنْ وَرَقِهَـا، وإِيَـاسٍ مِـنْ ثَمَرِهَـا واغْـوِرَارٍ مِـنْ مَائِهَـا، قَـدْ دَرَسَـتْ مَنَـارُ الْهُـدَى وظَهَـرَتْ أَعْـلَامُ الـرَّدَى، فَهِـيَ مُتَجَهِّمَـةٌ لأَهْلِهَـا عَابِسَـةٌ فِي وَجْـهِ طَالِبِهَـا ثَمَرُهَـا الْفِتْنَـةُ، وطَعَامُهَـا الْجِيفَـةُ وشِـعَارُهَا الْخَـوْفُ ودِثَارُهَـا السَّـيْفُ.

فَاعْتَـبِرُوا عِبَـادَ الله، واذْكُـرُوا تِيـكَ الَّتِـي آبَاؤُكُـمْ وإِخْوَانُكُـمْ بِهَـا مُرْتَهَنُـونَ،

(١) في نهج البلاغة: ((تشربون الكدر وتأكلون الجشب)).

(٢) هذه الفقرة في نهج البلاغة فقط.

(٣) الغـارات، الثقفـي: ج١ ص٣٠٣؛ نهـج البلاغـة، الشريـف الـرضي: الخطبـة ٢٦؛ شرح نهـج البلاغـة، المعتـزلي: ج٦ ص٩٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة:٩٥ بتحقيق صبحي الصالح: ص١٤٠.

وعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ، ولَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ ولَا بِهِمُ الْعُهُودُ، ولَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمُ الأَحْقَابُ والْقُرُونُ، ومَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ ..».[1]

٥ـ وقال (عليه السلام):

«فَإِنَّ الله سُبْحَانَه بَعَثَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله)، ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، ولَا يَدَّعِي نُبُوَّةً ولَا وَحْياً»[2].

٦ـ وقال (عليه السلام):

«فَبَعَثَ الله مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) بِالْحَقِّ، لِيُخْرِجَ عِبَادَه مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِه، ومِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِه، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَه وأَحْكَمَه، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوه، ولِيُقِرُّوا بِه بَعْدَ إِذْ جَحَدُوه، ولِيُثْبِتُوه بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوه، فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَه فِي كِتَابِه، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْه بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِه، وخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِه، وكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ، واحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ»[3].

٧ـ وقال (عليه السلام):

«وأَحْمَدُ الله وأَسْتَعِينُه عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ ومَزَاجِرِه، والِاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِه ومَخَاتِلِه وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُه ونَجِيبُه وصَفْوَتُه، لَا يُؤَازَى فَضْلُه ولَا يُجْبَرُ فَقْدُه، أَضَاءَتْ بِه الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، والْجَهَالَةِ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٩ بتحقيق صبحي الصالح: ص١٢٢.
(٢) المصدر السابق: الخطبة: ١٠٤.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٧.

الْغَالِبَةِ والجُفْوَةِ الجَافِيَةِ، والنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الحَرِيمَ، ويَسْتَذِلُّونَ الحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ ويَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ»[1].

٨ - وقال (عليه السلام):

«وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُه، ابْتَعَثَه والنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، ويَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الحَيْنِ، واسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ»[2].

وللوقوف على أثر هذه المعتقدات في الإنسان العربي ورسوخ قيم الجاهلية في نفسه وتغلغلها في مفاصل عيشه وحياته، فلننظر إلى ما دونه المؤرخون في ذلك، فلقد تنوعت المعتقدات لدى الإنسان العربي في شبه الجزيرة العربية لاسيما في المجتمع المكي بوصفه محل البيت الحرام، وموضع اختلاف العرب، ومحل إظهار الأفكار والمعتقدات عند موسم الحج، فضلاً عما تحتله قريش من تقدير لدى القبائل العربية.

إلا أن ثمت دواعي لنشوء هذه المعتقدات وتنوعها لدى العرب فكانت سببا في تميزها وشهرتها بينهم فدونها لمؤرخون، لاسيما تلك التي دونتها ألسنة الشعراء، فحفظتها قلوبهم بما لديهم من شغف بالشعر، هي كالآتي:

المسألة الثانية: من أهم دواعي نشوء المعتقدات وتنوعها هو دوران الإنسان بين جلب المنفعة ودفع المضرة.

حينما نأتي لدراسة المعتقدات العربية قبل الإسلام ونبحث في الأسباب والدواعي لا نجدها تعدو عن كونها حالة من المعتقدات العالمية لدى الأمم

---

(١) المصدر السابق، الخطبة: ١٥١ .

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩١ .

والشعوب تقوم على مبدأين، وهما: جلب المنفعة ودفع الضرر، فضلاً عن الحاجة لدى الإنسان بالاعتقاد بشيء ما سواء كان ذلك ينم عن وعي معرفي، وآلية تفكيرية سليمة، وفهم وقاد؛ أم هو عن جهل موروث وعادات استقبلها الأبناء دون أن يعيها الآباء.

من هنا:

(عندما سأل أحدهم: من أين يبدأ فهم دين شعبه؟ أجاب أحد أعضاء مجتمع الكونغو (زائير): (أبدأ بإنسان مريض يبحث عن الشفاء)[1].

ولا يخفى ما يشكله التقارب الجغرافي بين الجزيرة العربية وبلاد فارس وأفريقيا من تثاقف، وبخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يشكله العنصر الزنجي وتجارة الرق من عامل مهم في انتقال ثقافة القارة الأفريقية إلى الجزيرة العربية.

ولذا:

تبقى (الحاجة) هي الدافع وراء نشوء المعتقدات لدى الإنسان، سواء أكان عربياً في الجزيرة أم في العراق أم في أفريقيا أم أن هذا الإنسان إغريقيا أو رومانيا.

(فالمرض الذي يسميه الفرنج عين الملك كانوا يعالجونه بريق الملك)[2]، ليقابله الاعتقاد نفسه عند الإنسان العربي قبل الإسلام فهو (يعتقد أن دم الرئيس

---

(١) الميثولوجيا العالمية، حنّا عبود: ص١٢.

(٢) المعتقدات الشعبية لعبد الرزاق خليفة: ص٦.

يشفي- مرض - الكلّب[١])[٢].

كما أن كثيراً من الأمم كانت تعتقد بالشياطين والجن والأرواح الشريرة وظهورها أمامهم في الأماكن المهجورة والبيوت المظلمة والوديان والكهوف والصحاري وغيرها مما يعطي صورة واضحة عن أسباب هذه المعتقدات، ودواعي الإيمان بها، لاسيما وإن الحاجة قائمة في ذهنية الإنسان العربي الذي يرى أن هذه المعتقدات تحقق له المنفعة وتدفعه عنه المضرة.

أما من أبرز الدواعي التي عملت على ترويج هذه المعتقدات فهم الكهنة فقد وضع هؤلاء أساطير متعددة وأوهاماً كبيرة زرعوها في المجتمع، كي تعود بالمنفعة عليهم، وذلك باستدرار الأموال المقدمة لتلك الرموز الدالة على المعتقدات، كالأصنام والأوثان والشياطين المتلبسة بها والهوام والغيلان وغير ذلك كالنجوم والأبراج مما يجعلهم أصحاب القرار في تعيين مصالح الناس.

المسألة الثالثة: الكهانة والتكهن وأثر الكهنة في دخول أبي بكر وعثمان وطلحة الى الإسلام.

اختلفت دلالة (لفظ) الكاهن في الديانات، فالكاهن عند الديانة المسيحية: هو أحد رجال الكنيسة، ويسمى: قسيس[٣].

---

(١) مرض الكلب، وهو مرض معد ينتقل فيروسه في اللعاب بالعض من حيوان من الفصيلة الكلبية إلى الإنسان، ومن ظواهره: تقلصات في عضلات التنفس والبلع، وخيفة الماء، وجنون واضطرابات أخرى شديدة في الجهاز العصبي. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد: ج٢ ص٩٥٠

(٢) المعتقدات الشعبية لعبد الرزاق خليفة: ص٧.

(٣) المعجم القانوني لحارث سليمان الفاروقي: ج١، ص٢٤٠.

لكن الكهّانة، والكاهن، والكهنة في المعتقدات البابلية والمصرية والعربية في الجزيرة تختلف في دلالاتها عن الكهنة في الديانة المسيحية واليهودية.

فالكهنة في المعتقدات البابلية: (يشرفون على المعابد ويحمون العقيدة ويكونون وسطاء بين الناس والآلهة، ويؤدون التراتيل الدينية؛ والناس يوم ذاك يقدمون القرابين للآلهة على يد الكهنة في المعابد تضرعاً وطلباً للوفرة والإنتاج والتخلص من الشرور)[١].

والكهنة في معتقدات المصريين والفراعنة: (جماعة دينية لها مناصب دينية إضافة إلى وظائفهم والطقوس عندهم أدعية وصلوات، وكرس المصريون اهتمامهم على إرضاء الآلهة لتمنحهم السعادة في الدنيا)[٢].

والكهنة عند العرب قبل الإسلام، هم طبقة (تمثل الوسيط بين الآلهة والناس المعتنقين وتقدم لهؤلاء الكهنة القرابين والنذور، مقابل قيامهم بترتيل، -كلام ديني- وأنهم يدعون معرفتهم بشؤون الآلهة وقادرون على توجيههم إلى الخير بدلاً من الشر)[٣].

من هنا: لعبت الكهنة دوراً فاعلاً في ترسيخ العقائد في أذهان الناس، وذلك لغرض الانتفاع من أموالهم وحفظ مكانتهم الاجتماعية فيما يفرضه الموقع المتصل بالآلهة أو الوسيط فيما بينهم وبين الناس من شأنية ترتكز أولاً على الخوف كي لا يغضب الكاهن فيؤدي إلى غضب الآلهة، أو أن يسلط عليه إحدى القوى التي

---

(١) جغرافية المعتقدات: ص١٥٥ - ١٥٦.

(٢) جغرافية المعتقدات: ص١٦٠.

(٣) جغرافية المعتقدات: ص ١٦٦ - ١٦٧.

كانت ترتبط به وتبعاً له كالجن والشياطين مما يزرع الخوف من وقوع الضرر في النفس والمال ليندفع الإنسان آنذاك باستحصال رضا الكهنة، وثانياً: كانت الكهنة هم الوسيلة الوحيدة، لمعرفة الأخبار المغيبة.

وفي ذلك يقول النويري: (وكانت كهنة العرب، لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار فيلقونها لمن تبعهم ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام)[1].

ولقد أشار القرآن إلى خطورة هذه الطبقة المتحكمة في المجتمع العربي آنذاك، وبيان محاربتهم لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإظهار سعيهم لاتهام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتكهن؛ كي يبقى الناس على معتقدهم بالكهنة، وأن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يأتِ بشيء جديد فحاله كحالهم -والعياذ بالله- ومن ثم تبقى هذه الطبقة قائمة في المجتمع.

فضلاً عن أن طغاة قريش الذين تشرّبت نفوسهم على الطاغوتية باستملاك العبيد والاستهتار بالنساء قد أشاعوا ذلك فيما بين الناس كي لا يعتقد أحد بهذا الدين الجديد.

قال تعالى:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

(١) نهاية الأرب للنويري: ج٣، ص١٢٨.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٤٠ و٤١ و٤٢.

ولقد تحدثت كتب التاريخ والسيرة عن دور هؤلاء في الجزيرة، ومعاداتهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومحاولتهم قتله[1]، ولذا كان أبو طالب (عليه السلام) يخفيه عنهم ولا يفارقه ليلاً ولا نهاراً.

وفي ذلك روى ابن إسحاق مصنّف السيرة الأول أنموذجاً عن دور أولئك الطغاة في محاربة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مستخدمين عدة وسائل في منع الناس من الاعتقاد بما يدعو إليه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) كما هو واضح في هذه الرواية:

قال ابن إسحاق في معرض حديثه عن أبي جهل حينما أراد الهلاك برسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف منعه الله من ذلك فجاء مذعوراً يحدث قريشاً بما رأى (فقام له النضر بن الحارث بن كلدة فقال: يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أشلتم له نبله بعد، لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر، ولا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم كاهن، ولا والله ما هو بكاهن، وقد رأينا الكهنة وحالهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم شاعر، ولا والله ما هو بشاعر ولقد روينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها، هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم مجنون، ولا والله ما هو مجنون، ولقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، انظروا في شأنكم، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم.

وكان النضر من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله (صلى الله عليه

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١٣، ص٢٠٦.

[وآله] وسلم) وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ما لفارس، وأحاديث رستم واسفندياذ، وكان رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) إذا جلس مجلسا يذكّر فيه بالله ويحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله؛ خلفه في مجلسه إذا قام، ثم يقول:

أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه، فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفيدياذ ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثا مني)[1].

والرواية تدل على جملة من الأمور، منها:

١ - إن المجتمع المكي كان على اطلاع بثقافة البلاد المجاورة ولاسيما إمبراطورية فارس، وإن هذا الفكر الوافد له آثاره السلبية على المجتمع المكي.

٢ - إن هذه الرواية تعزز الاعتقاد بأن هؤلاء الطواغيت كانوا يشجعون على بذل ثقافة التكهن، كي يلتبس الأمر على الناس في التمييز بين ما يحدّث به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين حديث الكهنة.

٣ - تدل الرواية على إعجاز القرآن في تحديده لجميع هذه الأنماط الفكرية والعقائدية، وإن هذا القرآن أبين في الدلالة والحجة من هذه الدعوات والأنماط الفكرية والمعتقدات.

٤ - أن كثيراً من المعتقدات الفارسية كانت قد انتقلت إلى الجزيرة العربية، وذلك؛ بسبب هذه الأحاديث التي يرويها النضر بن الحارث أو غيره.

---

(١) سيرة ابن إسحاق بن يسار: ج٤، ص٨١ - ٨٢.

ولعل المنفعة الوحيدة التي قدمها الكهنة وعلى رأسهم سطيح[1] -وهو آخر كهنة العرب- إخبارهم الناس بخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال الفخر الرازي: (ولهذا يحكى عن سطيح أنه لما أخبر بوجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عن أمور تكون)[2].

في حين أشارت بعض المصادر إلى دور الكهنة في دخول بعض الصحابة إلى الإسلام كعثمان بن عفان[3]، وذلك عِبر ما قدمه له أولئك الكهنة من نصح.

فضلاً عن دور الرهبان في دخول أبي بكر وطلحة بن عبيد الله إلى الإسلام حسبما يروي لنا الحافظ ابن عساكر في تاريخه[4].

ولقد سرى الاعتقاد بالتنجيم عند العرب وغيرهم لما بعد بعث النبي (صلى الله عليه وآله) وتأثر كثير من المسلمين بذلك، وهو ما كشفه النص الشريف عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، وقد قال له:

(إنْ سرت يا أمير المؤمنين، في هذا الوقت، خشيت ألا تظفر بمرادك، من

---

(١) سمي الكاهن سطيح بـ (سطيح) لكونه منسطحاً لزمانه؛ أنظر: مفردات غريب القرآن الأصفهاني: ص٢٢٢.

(٢) تفسير الرازي: ج٢٩، ص٢٩.

(٣) أنظر حديث عثمان بن عفان عن دور خالته سعدى بنت كرز وقد كانت تتكهن في دخوله للإسلام؛ الإصابة لابن حجر: ج٧، ص٦٩٧ - ٦٩٨.

(٤) أنظر حديث أبي بكر حول الراهب الذي التقاه في اليمن وأوصاه باتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ تاريخ دمشق: ج٣٠، ص٣١ - ٣٣؛ تفسير الثعالبي: ج١، ص٣٢٠؛ خديجة بنت خويلد للمؤلف: ج٤، ص٥٥ - ٥٨.

طريق علم النجوم، فقال (عليه السلام):

«أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ، الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْه السُّوءُ، وتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِه الضُّرُّ، فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، واسْتَغْنَى عَنِ الِاسْتِعَانَةِ بِالله، فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ ودَفْعِ الْمَكْرُوه، وتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ، أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّه، لأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَه إِلَى السَّاعَةِ، الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وأَمِنَ الضُّرَّ».

ثم أقبل [عليه السلام] على الناس، فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وتَعَلُّمَ النُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِه فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ والْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ والْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ والسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ والْكَافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا عَلَى اسْمِ الله»[1].

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧٩، ص ١٠٥ بتحقيق صبحي الصالح.

المبحث الثالث

اعتقاد العرب بالجن والشياطين والخوف منها وتأثرهم بالميثولوجيا العالمية.

يمكن لنا تحديد العقيدة بالجن والشياطين لدى العرب قبل الإسلام عِبْرَ التجائهم إليها للتخلص من الأضرار الواقعة أو المحتملة، وذلك لاعتقادهم بأنها قوى شريرة ومؤذية وضارة ولها القدرة على إلحاق السوء بالإنسان فتصيبه بالجنون أو المرض، ومن ثم يلزم منه أن يلتجئ إلى قوى أخرى تساعده على التخلص من هذه الأضرار.

ولعل هذا الاعتقاد ليس محصوراً في الإنسان العربي سواء قبل الإسلام أو بعده، لاسيما وأن القرآن الكريم قد تحدث عن الجن في مواضع كثيرة، فضلاً عن اختصاص إحدى السوّر القرآنية بـ (سورة الجن) التي تتحدث عن هذا الخلق، ولعل بيان القرآن لمجيئهم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسماعهم له وهو يقرأ القرآن وحديثهم معه وبيانهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيراً من أصنافهم وشؤونهم، وما إلى ذلك مما تستعرضه الآيات المباركة لغني بالمسلم عن البحث في دواعي الاعتقاد بوجود الجن.

إلا أن الفارق بين المرحلتين، أي ما قبل الإسلام وبعده، هو اعتقاد الإنسان العربي قبل الإسلام بدور الجن في استحصال المنفعة ودفع المضرة، لاسيما وإن التاريخ يتحدث عن دورها المميز في إيصال أخبار المستقبل، وأخبار الملائكة حينما كانوا يسترقون السمع حتى انتهى أمرهم بظهور النبي (صلى الله عليه

وآله وسلم)، حينما رماهم الله سبحانه بالشهب.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر/ ١٦-١٧].

قال تعالى:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا * وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجنّ/ ٦-٩].

ولذلك:

لا يمكن تجاهل وجود دورهم المهم في تكوين الاعتقاد بهم وبخاصة أن القرآن يصرّح بوجود علاقة قوية بين رجال من الأنس برجال من الجن، وأنهم كانوا يسترقون السمع من السماء، ولولا بركة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكان هذا الحال له من الهيمنة على المجتمع العربي بما لا يمكن لمعتقد آخر أن يقوم بإزاحته من أذهان الناس.

ولقد حاولت بعض الأبحاث التقليل من أثر هذه المخلوقات في تركيبة المجتمع العربي، وتحديداً الإنسان البدوي، فضلاً عن إعطاء كثير من المبررات لوجود هذا الاعتقاد، وذلك بما تفرضه الطبيعة الصحراوية والأودية والقفار والظلام والسكون، وتنوع الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة في خلق حالة

من الخوف والفزع لدى الإنسان البدوي الذي (أخذ يعيش حالة متطورة من الخيال الذي كوّن لديه مجموعة من الهواجس فرضت عليه هذا المعتقد أو ذاك)[١].

في حين أنني أجد أن الإنسان البدوي لا يمكن أن يكون بتلك السذاجة التي تعبث بمقدراته بعض أصوات طائر البومة، أو نعق الغراب، أو حفيف الأشجار، ولعل حركة الجرابيع في الصحراء لها أثرها المميز في تكوين معتقداته فيتهيأ الجن والأرواح والغيلان وما إلى ذلك.

ليركع أمام أعتاب الكهنة يلتمس منهم دفع المرض عنه، أو صيانة ماله، أو وفرة رزقه بل:

إنني وجدت أن الإنسان العربي ذو قدرة كبيرة في التعامل مع الأحداث والأفكار الوافدة عليه، فيأخذ بهذه، ويترك تلك حسبما ينسجم أولاً مع مصلحته، وثانياً مع طبيعة عيشه.

ولعل: كلام النضر بن الحارث يقدم صورة واضحة عن قدرة الإنسان العربي على التمييز بين تلك الأنماط المذهبية، والمعطيات الفكرية إلى الحد الذي كان يدرك بشكل كبير خطورة ما يدعو إليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي استوجب منهم عقد الجلسات والمشاورات في كيفية مواجهته فقال -ولا بأس بإعادة قوله للاستدلال، وإن كنا قد ذكرناه آنفا-:

(يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أشلتم له نبله بعد، لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة،

---

(١) الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، د. ميخائيل سعود: ص ٧٧ - ٨٠.

حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم، قلتم: ساحر، ولا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم:

كاهن، ولا والله ما هو بكاهن، وقد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم؛ وقلتم: شاعر، ولا والله ما هو بشاعر، ولقد روينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها هزجه وقريضه؛ وقلتم: مجنون، ولا والله ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، يا معشر قريش، أنظروا في شأنكم فإنه قد نزل بكم أمر عظيم)[1].

وهذا النص التاريخي يكشف عن قدرة الإنسان العربي (المكي) في تشخيص المعتقدات، بل وكافة الأفكار التي يمر بها المجتمع، وهو قادر أيضاً على مواجهة كل معتقد بما يناسبه، عدا هذا الدين الجديد الذي يظهر خطره عليهم وعجزهم عن مواجهته.

إلا أن هذه المواجهة التي لم يكشف عنها الحارث بن النضر في حينها، ولعله مات قبل أن يتحدث عنها قد أظهرها القرآن الكريم للناس لتدل على عظم الأمر الذي قام به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتكشف عن حجم المعاناة والمواجهة والحرب التي كان يلاقيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتي لم تنتهِ في زمانه، بل حتى بعد مماته ليظهر جلياً في أهل بيته (عليهم السلام)؛ فقد انهالوا عليهم قتلاً وتشريداً ومصادرة للحقوق والأموال وغير ذلك مما ملئت منه كتب التاريخ والسيرة والحديث والأدب والتفسير.

---

(١) سيرة ابن إسحاق بن يسار المطلبي: ج٤، ص١٨١.

ولعل من الآيات الكريمة التي كشفت جانباً من تلك المواجهة قوله تعالى:

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة/ ٤٨].

وقوله سبحانه:

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة/ ٥٠].

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة/ ١١٠].

وهذه الآيات تكشف عن طبيعة التفكير لدى الأعراب وبعض أهل المدينة ومقدرتهم بالتمظهر بمظهر الدين الجديد وتخطيطهم للكيد برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الحد الذي أصبحوا مردة بالنفاق.

وعليه:

لم يكن الإنسان العربي بتلك السذاجة التي لا تمكنه من التمييز بوجود الجن والشياطين وأثرهم عبر الكهنة، أو بدونهم من النفوذ إلى عقلية الإنسان العربي والتعايش معه في ليله ونهاره إلى أن بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبانت ببركته حقيقة هؤلاء.

فضلاً عن ذلك:

فإن هذه العقيدة لم تكن محصورة بالإنسان العربي ولا في مجتمع الجزيرة العربية، بل لقد سرت هذه العقيدة في أغلب الشعوب ومنذ القدم، وما زالت عند كثير منها على الرغم من التقدم العلمي والبحثي.

ولعل عبادة الشيطان اليوم لها من الإتباع ما يدعو إلى التوقف والدراسة الميدانية والمتأنية لغرض إصلاح بعض الأسس التي ابتليت بهذا الفكر الهدام والوقوف بوجه هذا الانحراف السلوكي والتفكيري لدى الإنسان.

أما الخوف من الأماكن المظلمة والمهجورة فقد ارتبط ارتباطاً بهذه العقيدة أي بالجن والشياطين، ومنذ القدم، ولم تقتصر على ابن الصحراء والقفار، ومن الشواهد على انتشار هذه العقيدة لدى الأمم غير العربية ما يعتقده الإنسان الآسيوي في أقصى الشرق، وهو ما يعرف بالعقيدة الداوية لدى الصينيين وما يقابلها من العقيدة بالجن والأماكن المحددة في الجزيرة العربية التي عرفت بأنها مواطن يسكنها الجن والشياطين، فضلاً عن أن الاعتقاد بالجن والشياطين له من الخزين الفكري لدى اليهود والنصارى، وأن كثيراً من القبائل العربية التي كانت تدين باليهودية والنصرانية هي على المحك مع غيرها من القبائل العربية.

المسألة الأولى: العقيدة بالجن والشياطين لدى العرب عقيدة وافدة من شعوب وديانات أخرى.

قد يبدو غريباً بعض الشيء أن يلحظ الباحث والقارئ أن هذه العقيدة أخذت حيزاً كبيراً لدى الشعوب الآسيوية وبالأخص الصينيين الذين

يشكلون الغالبية العظمى من سكان هذه القارة.

إذ يعتقد بضعة ملايين من الصينيين بالجن والشياطين، وقد أخذوا العدة لاجتناب هذه المخلوقات، وذلك بتصميم خاص لبيوتهم؛ إذ (لا يستطيع المرء أن يدخلها إلا إذا مرّ في ممرات ملتوية متعرّجة قبل أن يجد أول مجرة من مجرات البيت، أو إلا إذا التقى في واجهة البيت بغابة كثيفة الأشجار، قائمة، حتى ولو كانت مرسومة على لوحة عريضة، لينحدر بعدها في الممرات الجانبية للبيت.

وأصحاب هذه البيوت يسمون بالداويين، وهم أصحاب العقيدة الداوية التي وضع أساسها الأول حكيم عاش في نفس أيام كونفوشيوس ولكنه كان يكبره ببضع من السنين.

والذين يعرفون سر الأشجار والرسوم والممرات المتعرجة يقولون أنها هي التي تصد الشياطين والجن والمردة وأرواح الشر عن دخول البيت، فالداويون يؤمنون بكل هذه الألوان من أمثلة الشر، تماماً كما كانوا يؤمنون بوجود مصاصي الدماء والغيلان والتنانين، حتى أنهم عندما يأكلون أو يشربون، وقبل أن يمشي الواحد منهم أو يستريح، لابد أن يهمس ببضع كلمات هي بمنزلة تمائم تبعد كل هذه الألوان من ألوان الشرور، وإذا مشى في غابة فهو إما يغني أو يصفر، لأنه يعتقد أن الموسيقى تبقي الشياطين بعيدة عنه فلا تقترب منه، وشياطين الغابة تكره الموسيقى كما يكره البعوض الدخان.

وكل ذلك هو السر في تلك الممرات الملتوية في بيوت الداويين، فالداوي يؤمن بأن في الإمكان منع الروح الشريرة إذا اندفعت داخلة إلى البيت، وذلك إذا وجدت في وجهها جداراً يصدها، فهي تفاجأ بالجدار في أثناء اندفاعها

السريع فتصطدم به، وتموت)[١].

وعليه:

فإذا كانت العقيدة بالجن والشياطين لها من الظهور عند الصينيين بهذا الشكل، فكيف بها لدى البابليين والرومانيين الذين كانوا على مجاورة من الجزيرة العربية؟!

ولذلك: فإن هذا الاعتقاد له من العوامل المؤثرة في نمط تفكير الإنسان العربي لاسيما إذا نظرنا أيضا إلى اعتناق بعض القبائل لليهودية والنصرانية التي أعطت حيزاً لا بأس به للاعتقاد بالجن والشياطين.

فالشيطان في الديانة اليهودية يظهر على (أنه كائن روحي شرّير، لكن ملامح هذا الكائن لم تتوضح إلا ببطء شديد، ويبدو أن النصوص الكتابية هي التي تأثرت بالمعتقدات الشعبية.

والعهد القديم، يقر بوجود مثل هذه الكائنات وأعمالها ونشاطها، وهو بالتالي يساير الاعتقادات الشعبية التي تملأ المناطق الخربة والجهات المقفرة بالحيوانات الموحشة والكائنات الغامضة مثل الأشاعر، والغول، وهي تسكن الأماكن الملعونة، مثل بابل، أو بلاد آدوم.

وفي العهد القديم تختلط مهمة الشيطان بمهمة الملاك، وكأن الذهنية القديمة لا تميز بين الشر والخير؛ فالله، يهوه، يرسل الملاك على مصر وعلى أورشيلم أو على الجيوش الآشورية.

---

(١) موسوعة الأديان في العالم: ص٥٠ - ٥١.

إلا أنه بعد السبي، يبدو التمييز واضحاً بين عالم الملائكة وعالم الشياطين، فالشيطان يعذب الإنسان والملاك يعذب الشيطان)[١].

وهذا التقارب في الفكرة بين أن الشيطان مصدر الشر وأصل الضرر بالإنسان، فلذا فهو بحاجة إلى قوة أخرى يستعين بها على الشياطين، فالصينيون كانوا يستعينون بالأشجار والممرات الملتوية، واليهود يستعينون بتجنب الأماكن المهجورة والمحال المقفرة التي تسكنها الحيوانات المتوحشة التي تعكس وجود هذه الأرواح الشريرة، ثم نجد أن هذه العقيدة تتناسب مع المتغيرات البيئية والاجتماعية لتخرج بفكرة جديدة تنص على أن الشيطان يعذب الإنسان والملك يعذب الشيطان مما يدعو إلى الاستعانة بالملائكة للتغلب على هذه القوى الشريرة.

ولعل هذا المبدأ كان هو المحور في تبلور العقيدة بالشياطين والجن لدى المسيحيين الذين وجدوا أن السيد المسيح عليه السلام هو البطل الوحيد الذي يستطيع أن ينتصر على هذه الشرور؛ فالجنون ما هو إلا نتيجة لتحكم هذه القوى الشريرة بالإنسان فهي التي مسته بشرها فسلبته عقله، ليكون تبعاً لها لا يدرك ما يقول، ولعل قوله وصرعاته واختلاجاته إنما هي رسائل لتلك الأصوات والتناغمات الصوتية التي يسمعها من الجن فيرددها دون وعي منه.

ولو تتبع الباحث أو القارئ ما قيل في أدبيات المعتقدات المسيحية لاتضح لديه نشأة الاعتقاد بأن الجنون هو عبارة عن الجن (الساكنين في رؤوس

---

(١) الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام لميخائيل مسعود: ص٨٠.

الممسوسين، كممسوس كفرنا حوم، وممسوس الجراسيين، وابنة المرأة الكنعانية، والصبي المصروع، والممسوس الأخرس، ومريم المجدلية)[١].

إذن:

تتبلور الفكرة لدى الإنسان العربي في الاعتقاد بوجود الشياطين والجن ومقدرتها على إيذائه به من واقع ملموس، وآخر موروث، وثالث منقول ووافد إليه من أمم وشعوب أخرى لتجتمع هذه المعطيات الفكرية لديه فتكون عنده عقيدة راسخة في هذه المخلوقات التي يبدو أنه احتار كيف يتعامل معها، وذلك لوجود تأثيرها على الإنسان وهو أمر لا يمكن نكرانه لاسيما وقد كشفت الآيات والأحاديث الشريفة عنها، وفيها يقول الإمام علي (عليه السلام):

«**الْعَيْنُ حَقٌّ، والرُّقَى حَقٌّ، والسِّحْرُ حَقٌّ**»[٢].

المسألة الثانية: كيف يتعامل الإنسان العربي قبل الإسلام مع الجن والشياطين وما هي أبرز الطقوس الكاشفة عن عقيدته وأثرها النفسي والاجتماعي.

يمكن لنا تحديد معالم العقيدة بالجن والشياطين لدى العرب قبل الإسلام عِبْرَ التجائهم الى أشياء غريبة للتخلص من آذى الجن.

وذلك لكونها قوى شريرة ومؤذية وضارة ولها القدرة على إلحاق السوء بالإنسان فتصيبه بالجنون أو المرض، ومن ثم يلزم منه أن يلتجئ إلى قوى أخرى تساعده على التخلص من هذه الأضرار.

---

(١) الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام لميخائيل مسعود: ص٨١ - ٨٢.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٤٠٠، ص٥٤٦ بتحقيق صبحي الصالح.

إلا أن الفارق بين التجاء الإنسان العربي للتخلص من هذه القوى، وبين التجاء الإنسان في الأمم والشعوب والديانات الأخرى هو تعدد هذه الطقوس وتنوعها وغرابتها التي تكشف إما عن الجهل المطبق الذي قيد عقل الإنسان العربي أو لخصوبة الخيال أو عبث الأهواء النفسية فيه.

فالإنسان الآسيوي الذي يعتقد بالديانة البوذية في الصين كان يتعامل مع الجن والشيطان عِبْر الغابات والأشجار الكثيفة والتصفير والممرات الملتوية؛ وعند اليهود كان التعامل يرتكز على تجنب الأماكن التي تسكنها هذه المخلوقات مع بعض التراتيل والتعويذات؛ أما المسيحيون فقد كان الرمز المخلص لهم من هذه القوى هو السيد المسيح (عليه السلام).

أما الإنسان العربي في شبه الجزيرة العربية فكان يلتجئ إلى مجموعة من الأشياء الغريبة التي لم يفصح عن علة تأثيرها في هذه القوى، وقد تناول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) بيان أثر هذه المعتقدات في كثير من خطبه دون أن يخصصها بالاسم أو الصفة، وإنما لبيان حال العرب والناس جميعا وقد أخذت الفتن منهم كل مأخذ فتشتت أمرهم وضاق عليهم المخرج ولم يبصروا السبيل في خروجهم مما هم فيه من طاعة الشيطان ونصره عِبْر جملة من الطقوس والممارسات، فكانوا صورة للشياطين في أقوالهم وأفعالهم، فداستهم الفتن بأرجلها، فهم ساهرون باكون مشردون خائفون حتى فيما يعتقدون.

فمنها قوله (عليه السلام):

«أَرْسَلَه بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ... والنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ،

وتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، واخْتَلَفَ النَّجْرُ وتَشَتَّتَ الأَمْرُ، وضَاقَ الْمَخْرَجُ وعَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَى خَامِلٌ والْعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمَنُ ونُصِرَ الشَّيْطَانُ وخُذِلَ الإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُه وتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُه، ودَرَسَتْ سُبُلُه وعَفَتْ شُرُكُه، أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَه ووَرَدُوا مَنَاهِلَه، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُه وقَامَ لِوَاؤُه، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا ووَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ وشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ».

وقال (عليه السلام):

«بَعَثَه والنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، واسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، واسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ، وبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ».

وقال (عليه السلام):

«وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُه، ابْتَعَثَه والنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، ويَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، واسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ»[1].

أما هذه العقائد وطقوسها، فهي على النحو الآتي:

١. تعليق الحلي والقلائد على اللديغ واللسيع للنجاة من السموم.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩١

اللديغ: بالدال المهملة والعين المعجمة هو اللسيع وزنا ومعنى، واللدغ اللسع، وأما اللذع بالذال المعجمة والعين المهملة فهو الإحراق الخفيف، واللدغ هو ضرب ذات الحمة من حية أو عقرب أو غيرهما، وأكثر ما يستعمل في العقرب[١].

والعرب قبل الإسلام كانوا يتعاملون مع اللديغ بأن يعلقوا عليه الحلي والجلاجل زاعمين أنه يفيق، وذلك؛ لأنهم أرادوا أشغاله بصلصالها حتى لا ينام فيسري السم فيه فيهلك.

وقيل لبعض الأعراب: أتريدون أن يسهر؟

أن الحلي لا تسهر، لكنها سنة ورثناها، وهو معتقد أفاد منه النابغة الذبياني يمثل سبب أرقه وسهره:

وعيد أبي قابوس في غير كنهه ... أتاني ودوني راكس والضواجع

فبتّ كأنّي ساورتني ضئيلة ... من الرّقش في أنيابها السمّ ناقع[٢]

٢. كعب الأرنب يُنّفْر الجن.

يعتقد أهل الجزيرة العربية قبل الإسلام بقدرة كعب الأرنب على تنفير الجن، ولذا؛ كانوا يعلقون على أيديهم كعب الأرنب كي يدفع عنهم الموت، وفي ذلك يقول امرؤ القيس وهو يخاطب أخته التي تقدم لخطبتها رجل يعتقد بأثر هذه الكعاب.

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني: ج٦، ص٢٩.

(٢) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون: ج٤ ص ١٠٧.

فيقول:

يا هند لا تنكحي بوهة ... عليه عقيقته أحسبا
مرسعة بين أرساغه ... به عسم يبتغي أرنبا
ليجعل في رجله كعبها ... حذار المنية أن يعطبا[1]

٣. أتخاذهم الأقذار وخرقة الحيض وعظام الموتى لدفع الجنون.

من المعتقدات التي أشار إليها النويري في نهاية الأرب والمتصلة بالجن والشياطين هي اعتقاد أهل الجزيرة قبل الإسلام بتأثير القاذورات والنجاسات لاسيما خرقة الحيض وعظام الموتى على دفع الأرواح الشريرة المتمثلة بالشياطين والجن عن الإنسان، فقالوا: وانفع من ذلك أن تعلق عليه طامت عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك[2].

٤. استخدامهم دم حيض السنور وسن الثعلب وسن الهرة لحفظ الصبي من الجن.

لم تزل علاقة الأطفال الحديثي الولادة بخوف الآباء والأمهات عليهم من الجن والهوام علاقة تلازمية منذ القدم ولا تزال، بل ولا تنتهي، ففي جميع الشعوب والأمم والديانات تلجأ الأم إلى ما تعتقد أنه يدفع عن ولدها الصغير الضرر من هذه القوى الغيبية.

(١) شعار الشعراء الستة الجاهليين، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي المعروف بالأعلم (المتوفى: ٤٧٦ هـ): ص١٩
(٢) نهاية الأرب للنويري: ج٢، ص٣١٩.

حتى إذا جاء الإسلام وجد أن هذا الشعور الأمومي له ما يبرره لاسيما وإن القرآن الكريم يتحدث عن دور الجن في إلحاق الضرر بالإنسان كما في سورة الناس والفلق وغيرها من الآيات الكريمة.

من هنا: أراد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يضع المرأة المسلمة على منهج شرعي متحضر له القدرة على حجب هذه القوى بإذن الله تعالى وذلك بإتباع سنّة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما تعامل مع مولود فاطمة (عليها السلام) الأول وهو الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام).

فقام بتغيير كل تلك العادات الناشئة عن معتقدات فاسدة، فابتدأ أولاً بتغيير القماط الذي كانوا يلفون به المولود من القماش الأصفر إلى القماش الأبيض[١]، ونهاهم عن استخدام الدم في تحنيك الصبي أو وضعه على الجبين فسقى الحسن (عليه السلام) من ريقه وحنكه به، ثم أذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وأمر بإماطة الأذى عنه، أي حلق شعر رأسه ووزنه والتصدق بوزنه[٢]، وعق (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه بكبشين[٣]، فأطعم المسلمين؛ وغيرها من مراسيم يوم السابع من عمر الطفل[٤].

---

(١) ذخائر العقبى للطبري: ص١٢٠؛ ينابيع المودة للقندوزي: ج٢، ص٢٠٠.

(٢) صحيح الترمذي، باب: الأذان في أذن المولود برقم (١٥١٤).

(٣) صحيح النسائي عن ابن عباس: ج٧، ص١٦٥ - ١٦٦؛ صحيح ابن حبان: برقم (١٠٦١).

(٤) كتاب النكاح للشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره: ص٤٩١؛ فقه الصادق للسيد الروحاني: ج٢٢، ص٢٨٤.

في حين كانت العرب في الجزيرة قبل الإسلام يستخدمون سن الثعلب وسن الهرة ودم حيض السمرة[١].

وفي ذلك تقول امرأة تصف عقيدتها بسن الثعلب والهرة ودم شجرة السمرة فتقول:

كانت عليه سنّة من هرة ... وثعلب، والحيض حيض السمرة

وكانت العرب إذا ولدت المرأة أخذوا من دم السمر وهو صمغه الذي يسيل منه ينقطونه بين عيني النفساء، وخطوا على وجه الصبي خطاً، ويسمى هذا الصمغ السائل من السمر (الدودم) ويقال بالذال المعجمة أيضاً، وتسمى هذه الأشياء التي تعلق على الصبي (النفرات).

فإذا أريد طرح الأرواح وأبعادها، يلجأ إلى (التنفير)، وطريقتهم في ذلك شبيهة (بطرقهم في تنفير الثقلاء وغير المرغوب فيهم من الناس وإبعادهم، وذلك باتخاذ كل ما ينفر ويقزز، لتعاف تلك الأرواح المواضع التي اختارتها والأشخاص الذين نزلت بساحتهم وحلت في أجسامهم.

وما زال لهذه الخرافات أشباه يدين بها بعض الجاهلات في بعض بلاد

---

(١) السمرة: شجر الطلح وله صمغ كريه الرائحة فإذا أكلتها النحلة حصل لعسلها من ريحه، وهو الذي يسمى عرفط، وقد أشارت إليه عائشة وحفصة حينما تآمرتا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت: كل منهما له (صلى الله عليه وآله وسلم): أشم منك رائحة العرفط، فحرم على نفسه شرب العسل؛ (أنظر صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب: لم تحرم ما أحل الله لك: ج٦، ص١٦٧).

ولشجرة السمرة: سائل صمغي له لون كلون الدم فإذا سال شبه سيلانه بالحيض وهو الذي كانت الأمهات تأخذ منه فتضعه على صبيها كي لا تقربه الجن.

العرب، فيعلقن على الصبي تمائم فيها ناب ذئب وسن ثعلب وغيرها)[١].

٥. اعتقادهم بأن الإنسان إذا نهق نهيق الحمير عشر مرات أمن من جن المدن قبل الدخول إليها.

ومن العقائد لدى العرب قبل الإسلام والمرتبطة بعقيدتهم بالجن: إن أحدهم إذا أراد أن يأمن من شر الجن حينما يروم الدخول إلى مدينة جديدة أن يقف على بابها (وينهق عشراً) كما ينهق الحمار ثم يدخلها لم يصبه شيء، وخاصة إذا علق عليه كعب الأرنب[٢]، وهذه العقيدة تسمى بالتعشير.

قال الهيثم بن عدي خرج عروة بن الورد في رفقة إلى خيبر ليمتاروا، -أي: يشتروا التمر- فلما قربوا منها عشروا، ولم يفعل عروة فعلهم؛ لأنه فارس يتقبل الموت ولا تهزه خرافة اليهود فيحتمي بها وقال:

وقالوا أحب وانهق لا تضرك خيبر ... وذلك من دين اليهود ولوع
لعمري لئن عشرت من خشية الردى ... نهاق الحمير إنني لجزوع[٣]

المسألة الثالثة: خوفهم من أماكن سكنى الجن في الجزيرة العربية.

تجنب الإنسان العربي أماكن سكنى الجن في الجزيرة العربية ويظهر هذا المعتقد منسجماً مع ما رسخ في الديانة اليهودية من تحديدهم لبعض الأماكن التي تسكنها الشياطين كمصر وبابل، ولذا عدّوا هذه الأماكن من الأماكن الخطرة والموبوءة بالمرض والسوء؛ فضلاً عن اعتقادهم بشكل عام بسكنى

(١) المعتقدات الشعبية في الموروث الشعري لعبد الرزاق خليفة: ص٥٣ - ٥٤.
(٢) نهاية الأرب: ج٢، ص٣١٥.
(٣) معجم البلدان، الحموي: ج٣ ص٨٥ .

الجن في الأماكن المهجورة والمناطق الخربة والمحال المقفرة.

وفي الاتجاه نفسه نجد أن الإنسان العربي قبل الإسلام كان يحذر الاقتراب من بعض الأماكن في الجزيرة العربية، ولعل مرد ذلك يعود إلى سماعه لأصوات مختلفة بعثت الرعب في نفسه، أو تراءى له بعض أشخاص الجن ضمن هيئات مختلفة، أو لعله تعرض للضرر عند مروره بهذه الأماكن.

أما ما قيل من أنه كان يتوهم وجود الجن في هذه الأماكن دون غيرها فيبدو أن هذا القول بعيد عن الواقع الاجتماعي والعقائدي للعرب قبل الإسلام.

ومن ثم فقد استملكه الخوف من المرور بهذه الأماكن ولعل سمة الخوف هي الأبرز في المكونات العقدية والنفسية للإنسان العربي فصار شعرا له في حياته، وهو ما جاء بيانه في قول الإمام علي (عليه السلام) لحال العرب قبل الإسلام:

«أَرْسَلَه عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ واعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وانْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ وتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ، والدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا واغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وطَعَامُهَا الْجِيفَةُ وشِعَارُهَا الْخَوْفُ ودِثَارُهَا السَّيْفُ»[1].

أما أهم هذه الأماكن، فهي على النحو الآتي:

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٩، ص١٢٢ بتحقيق صبحي الصالح.

١- رمال الحوش.

قال ياقوت الحموي في معجمه: الحوش، بالضم، رمال الحوش، من وراء رمال يبرين لبني سعد ويقال: إن الإبل الحوشية منسوبة إلى الحوش، وهي فحول جن تزعم العرب أنها ضربت في نعم بعضهم فنسبت إليها.

والحوش بلاد الجن من وراء يبرين لا يسكنها أحد من الناس، قال مالك بن الريب:

من الرم، رمل الحوش أو غاف راسب وتهدي برمل الحوش، وهو بعيد[1]

٢- أرض وبار.

يروي لنا ابن حبيب البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥هـ) والطبري في تاريخه والحموي في معجمه ما حاصله: إن أرض وبار تعود لوبار بن إرم بن سام بن نوح، وقيل: إنها كانت منازل بني أميم بن أوذ بن أرم بن سام بن نوح، هلكوا فغلب الجن عليها.

وإن هذه الأرض بسبب سكنى الجن لها لم يستطع أحد من العرب السير فيها سوى دعيميص الرمل العبدي الذي خرج في أثر فحل من إبله تبعته بعض النوق فخرج يتبعها حتى قطع هذه الأرض فنودي: إنه لا سبيل لك إلى البكوات -التي تبعت الفحل- أنهن من بعيرنا، وقد اضربنا لك عن قعدتك، فرجع[2].

(١) معجم البلدان: ج٢، ص٢١٩.

(٢) كتاب المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي: ص١٩٠؛ تاريخ الطبري: ج١، ص١٤٠؛ معجم البلدان: ج٥، ص٣٥٦.

٣- رمل عالج.

ذكرها البكري الأندلسي فقال: (عالج) بالجيم المعجم وهو الذي ينسب إليه رمل عالج، وهو في ديار كلب، قال الأخنس بن شهاب:

وكل لها خبت ورملة عالج ... إلى الحرة الرجلاء حيث تحارب

وخالف هذا أبو عمرو، فقال:

رملة عالج لبني بحتر من طيء، ولفزارة أدانيه وأقاصيه، وانشد لعدي بن الرقاع:

ركبت به من عالج متجبرا ... وحشا تربب وخشه أولادها[1]

قال أبو زياد الكلابي: رمل عالج يصل إلى الدهناء، والدهناء فيما بين اليمامة والبصرة، وهي جبال، والجبل يكون منها ميل وأكثر[2]، وأكثر شجرها العرفج.

وقد ذكر المؤرخون أن هناك مناطق أخرى عرفت بمواطن للجن، وهي:

(أرض أصمت، وأرض الدو، وأرض البدي، وأرض عبقر موطن الجنّ)[3].

المسألة الرابعة: اعتقادهم بأن الجن والإنس يتزاوجون وسريان هذا الاعتقاد عند المذهب المالكي.

تدل كثير من النصوص على بيان نفوذ اعتقاد العرب بالجن إلى الحد الذي يشير إلى أن الجن قد صحبوا الإنسان العربي في الجزيرة مصاحبة يومية ودخل

(١) معجم ما استعجم، أبو بكر الأندلسي: ج٣ ص٩١٣ .
(٢) معجم ما استعجم: ج٣، ص٩١٣.
(٣) الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام: ص٨٧ - ٨٨.

معه في أغلب أمور حياته.

فمن استعانة الكهنة بهم في معرفة ما غُيّب عنهم من الأخبار، إلى التودد لهم بطقوس خاصة لنيل رضاهم أو دفع شرهم، إلى كونهم ملهمين للشعراء في نظم أشعارهم، لينتهي الأمر بالمعاشرة والتزاوج فيما بين الإنس والجن.

بل لقد تطورت العلاقة فيما بين العالمين الإنسي والجنّي إلى الصور الغرامية التي تحدث عنها التاريخ كمجنون ليلى، وجميل بثينة، وعنتر وعبلة ليفوقها في كثير من القصص، فقد زعم العرب (إنّ الجنون من الجن، والمجنون هو الذي صرعته الجنية - عشقاً وغراماً - والمجنونة هي التي صرعها الجنّي، وإنما يكون ذلك عن طريق العشق والهوى وشهوة النكاح؛ والشيطان إذا عشق المرأة ينظر إليها عن طريق العجب بها، فتكون نظرته أشد عليها من الحمّى، وعين الجان أشد من عين الإنسان)[1].

والظاهر: أنّ العشق الذي يقع من الجني للإنسية أو من الجنية للإنسي هو حب قاتل لا ذنب للإنسان به فهو يعاقب على أمر لم يقترفه فيسلب منه عقله فيصبح مجنونا أو مجنونة! والغريب في الأمر سريان هذا المعتقد الى يومنا هذا، ومما يدل عليه:

١ـ إقرار بعض التفاسير الإسلامية بوجود التزاوج فيما بين الجن والإنس.

ولعل التفاسير الإسلامية لا تخلو من صور عديدة تتحدث عن هذه العلاقة فيما بين الإنس والجن، فقد ذكر ابن كثير عن الحسن البصري في بيان قوله تعالى:

---

(١) البيان والتبين للجاحظ: ج٦، ص٨٧.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل/ ٢٣].

قال: هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ، وقال قتادة: كانت أمها جنّيّة وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة من بيت مملكة)[١].

وقال القرطبي في قوله تعالى:

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل/ ٧٢].

وقال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

أي من الآدميين، وفي هذا رد على العرب التي كانت تعتقد أنها كانت تزوج الجن وتباضعها، حتى روى أن عمرو بن هند تزوج منهم غولاً وكان يخبّئها عن البرق؛ لئلا تراه فتنفر، فلما كان في بعض الليالي لمع البرق وعاينته السعلاة، فقالت: عمرو! ونفرت فلم يرها أبداً[٢].

٢ـ اعتقاد مالك بن أنس وفقهاء المالكية بالتزاوج بين الجن والإنسان.

بل: إننا لنجد أن هذه المسألة أخذت حيزها عند بعض فقهاء المسلمين وأئمة المذاهب، فقد ذهب إمام المالكية مالك بن أنس حينما سئل عن التزاوج فيما بين الجن والإنس، وقد قيل له: (ها هنا رجل من الجنّ يخطب إلينا جارية يزعم أنه يريد الحلال فقال:

(١) تفسير ابن كثير: ج٣، ص٣٧٣.
(٢) تفسير القرطبي: ج١٠، ص١٤٢.

ما أرى بذلك بأساً في الدين، ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل قيل لها من زوجك؟ قالت: من الجن، فيكثر الفساد في الإسلام بذلك)[١].

وقد أوغل الدسوقي المالكي في المسألة، ففصل فيها قائلاً:

(ولو رأت امرأة في اليقظة من جنّي ما تراه من إنسي من الوطء واللذة أو رأى الرجل في اليقظة أنه جامع جنّية، قال ابن ناجي: الظاهر أنه لا غسل على الرجل ولا على المرأة.

وقال (ح)[٢]: الظاهر أنه لا غسل عليهما ما لم يحصل إنزال أو شك فيه؛ لأن الشك في الإنزال يوجب الغسل كما تقول الحكماء، وأنهم أجسام نارية لهم قوة التشكل؛ ولقول مالك بجواز نكاح الجن، وجوب الغسل على كل من الرجل والمرأة وإن لم يحصل إنزال ولا شك فيه، ووافقه على ذلك تلميذه (عج) قال، شيخنا، وهو التحقيق)[٣].

وعليه: فأن هذا الاعتقاد قد سرى في حياة الإنسان المسلم مما يكشف عن أن الأنسان العربي قبل الإسلام لم يكن يتعامل مع الجن والشياطين على الوهم، فقد وصل به الحال إلى العلاقة الزوجية، هذه العلاقة التي استمرت لفترات زمنية بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وظهور المذاهب الإسلامية وما تبعهم من تلاميذ وفتاوى ما زال المالكية يحتكمون إليها في مذهبهم وتعبدهم الشرعي.

---

(١) الأساطير والمعتقدات العربية: ص٩٣.

(٢) هكذا وردت في المصدر ولم أعثر على القائل.

(٣) حاشية الدسوقي: ج١، ص١٢٨.

إذن: تبقى هذه العلاقة بين الجن والإنس قائمة إلى يوم القيامة، وإن تفاوتت الرؤى والأفكار والثقافات، ولعل كثيراً من هذه العلاقات هي أنشط وأعمق بكثير مما كانت عليه في السابق؛ إذ أصبح الإنسان لا يهاب الشياطين ولا ترهبه الجنّ لاسيما وأن القران قد خصهم ببعض الآيات، بل وسمى الله عزّ وجل أحد سوّر القرآن بهم، وخصهم بالأحكام والتكاليف، وفي طاعتهم ومعصيتهم وتكاليفهم يقول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام):

«الْحَمْدُ للهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، والْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِه، واسْتَعْبَدَ الأَرْبَابَ بِعِزَّتِه وسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِه، وهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَه، وبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ والإِنْسِ رُسُلَه، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا ولِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا، ولِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ولِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا، ولِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وأَسْقَامِهَا، وحَلَالِهَا وحَرَامِهَا، ومَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ والْعُصَاةِ، مِنْ جَنَّةٍ ونَارٍ وكَرَامَةٍ وهَوَانٍ، أَحْمَدُه إِلَى نَفْسِه كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِه، وجَعَلَ ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾، ولِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا ولِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً».[1]

أما مسألة التزاوج بين العالمين المختلفين أي عالم الأنس والجن وما يترتب عليها من مصاديق خارجية فهو مما لا يمكن الوصول الى أثباته -بما توفر لدينا من مصادر-.

المسألة الخامسة: اعتقاد العرب بأن الشياطين ملهموا الشعراء.

إنّ مما كشفته النصوص هو وجود نوع آخر من العلاقة فيما بين الجن والإنس قبل الإسلام وأن العقيدة بالجن والشياطين متلازمة تلازماً وثيقاً بعبادة الأصنام،

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٣ ص٢٦٥ بتحقيق صبحي الصالح.

فما من صنم أو وثن إلا وله شيطان يقبع فيه وكانت الكهنة على تواصل معهم وهم الوسيلة الوحيدة فيما بين الناس والأصنام -كما سيمر بيانه-.

أما هذا النوع من الاعتقاد، أي: أن الشياطين ملهموا الشعراء فقد أشارت كثير من النصوص الشعرية إليه حتى (زعموا إنّ مع كل فحل من الشعراء شيطانا يقول ذلك على لسانه الشعر)[١]؛ (ومن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود)[٢].

فكانت هذه النصوص كالآتي:

١ - قال امرؤ القيس:

تخيرني الجنُ أشعارها ... فما شئت من شعرهن اصطفيت[٣]

٢ - قال الأعشى مشيرا إلى اشتراك الجنّ والإنس في نظم الشعر:

شريكان فيما بيننا من هوادة ... صفيان إنسيّ وجنٌ موفق

يقول فلا أعيا بقول يقوله ... كفاني لا عمي ولا هو أخرق[٤]

٣ - وقال حسان بن ثابت:

إذا ما ترعرع منا الغلام ... فما إن يقال له من هوه

إذا لم يسد قبل شدّ الإزار ... فذلك فينا الذي لاهوه

ولي صاحب من بني الشيصبان ... فطورا أقول، وطورا هوه

---

(١) المعتقدات الشعبية في الموروث الشعري: ص٣٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ديوان امرئ القيس: ص٣٢٢.

(٤) الأساطير والمعتقدات العربية: ص١٤٠.

والشيصبان الذي يتناوب القول ويساعد صاحبه حسان، إنما هو من عالم الجن والشيطان، وقد صار ها هنا واقعة[1].

ولعل المتتبع لدواوين الشعر ليجد الكثير من النصوص التي تدل على هذا الاعتقاد الكاشف عن هيمنة هذه العقيدة في المجتمع العربي قبل الإسلام وما يرتبط بها من عبادة الأصنام.

إلاّ أن أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما سأل عن أشعر الشعراء لم يكشف عن تأثير الجن عليهم فيما تجود به قرائحهم على الرغم من شهرة هذا الأمر بينهم، ولعل مرَّد ذلك هو تقيد الجواب بما يخص أمر الأنصاف فيما بينهم وليس الكشف عن عقيدة الشعراء في الجن، فقال (عليه السلام):

«**إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ، تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ**». قال الشريف الرضي (عليه الرحمة والرضوان): يريد امرؤ القيس[2].

المسألة السادسة: خوفهم من التطير واعتقادهم بضرره.

أولاً: التطير لغة.

التطير: هو التشاؤم من الأمر، ونقيضه التفاؤل؛ قال ابن منظور:

(والطَّيْرُ: الاسمُ من التَّطَيّر، ومنه قولهم: لا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُ الله، كما يقال: لا أَمْرَ إِلَّا أَمْرُ الله؛ وأَنشد الأَصمعي، قال: أَنشدناه الأَحْمر:

---

(١) الأساطير والمعتقدات العربية: ص١٤١.

(٢) نهج البلاغة: ص٥٥٦ بتحقيق صبحي الصالح.

تَعَـلَّـمْ أَنـه لا طَـيرَ إِلَّا ... على مُتَطيِّرٍ، وهـو الثُّبورُ
بلى شَيءٌ يُوافِقُ بَعْضَ شيءٍ ... أَحايِينـاً، وباطِلُـه كَثِيرُ

وفي فلان طِيْرةٌ وطَيْرُورةٌ أَي خِفَّةٌ وطَيْشٌ؛ قال الكميت:

وحِلْمُك عِزٌّ إذا ما حَلُمْت، ... وطَيْرتُك الصابُ والحَنْظَلُ

ومنه قولهم: ازجُرْ أَحْناءَ طَيْرِك أَي جوانبَ خِفّتِك وطَيْشِك.

والطائرُ: ما تيمَّنْتَ به أَو تَشاءَمْت، وأَصله في ذي الجناح؛ وقالوا للشيء يُتَطَيَّرُ به من الإِنسان وغيرِه)[1].

ثانياً: استمرار عقيدة التطير في المجتمع بعد الإسلام.

يشغل التطير -كعقيدة نافذة في المجتمع العربي قبل الإسلام- حيزاً كبيراً بين الناس وليمتد إلى يومنا هذا على الرغم من نهي النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن لهذه العقيدة التشاؤمية في الغالب.

١- قال تعالى:

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [يس/ ١٨-١٩].

وقد روى أحمد في المسند عن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أرأيت أشياء كنا نفعلها في الجاهلية، كنا نتطير.

(١) لسان العرب، مادة (طير): ج٤ ص٥١٠.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**ذلك شيء تجده في نفسك فلا يصدنك**».

قال يا رسول الله: كنا نأتي الكهان، قال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**فلا تأتِ الكهان**»[1].

ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**الرؤيا على الرجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت فلا تحدثن بها ألا حبيباً أو لبيبا**».

(والمراد بالطائر ها هنا الذي يتطير به، ومنه قوله تعالى:

﴿**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾ [الإسراء/ ١٣].

أي ما يتطير منه ويخاف وقوعه به من جزاء أعماله السيئة وأوزاره المثقلة، وذلك مأخوذ من زجر الطير على مذاهب العرب، وكانوا يتيمنون بأيمانها ويتشاءمون بأشآمها، وعلى ذلك قول الشاعر:

ولقد غدوت وكنت لا ... أغدو على واق وحاتم

فإذا الأشائم كالأيامن ... والأيامن كالأشائم[2]

والواق: بكسر القاف الصرد، كأنهم سموه بحكاية صوته.

---

(١) مسند أحمد: ج٣، ص٤٤٣.

(٢) غريب الحديث، ابن قتيبة الدينوري: ج٢ ص٢٠٤

قال الشاعر:

وليس بهياب، إذا شد رحله ... يقول عداني اليوم واق وحاتم
ولكنه يمضي على ذاك مقدما، ... إذا صد عن تلك الهنات الخثارم[١]

والحاتم الغراب، والخثارم المتطير.

وكأنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل رؤيا الإنسان التي يترّوع لها ويخاف ضررها بمنزلة الشيء الذي يتطير به، وقد يجوز أن يكون ويجوز ألا يكون، فإذا عبرها خبرت له على ما يكره وقع متوقعها وخلص للشر مجوزها)[٢].

وأصل: التطير أو العيافة أو زجر الطير، هو: (إن يرمي الرجل الطير بحصاة ويصيح، فإن ولاه في طيرانه ميامنه تفاءل به، وإن ولاه مياسره تطير، وذلك ما يعرف بـ (السانح) و(المانح).

وقد رسخت هذه المعتقدات في نفوس العرب، وتمارس في كل مظهر من مظاهر حياتهم مع اختلاف بعض تفاصيلها، ولم يكن العرب كلهم متفقين على أمر السانح والمانح، فأهل نجد يتيمنون بالسانح، وأهل الحجاز يتشاءمون به[٣].

وفيه يقول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**الطيرة والعيافة، والطرقُ من الجبت**».

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المجازات النبوية للشريف الرضي: ص٣٤٢.
(٣) المعتقدات الشعبية في الموروث الشعري: ص٩.

وقال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام):

«**والْفَأْلُ حَقٌّ والطِّيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ**»[١].

قال ابن سلام في غريب الحديث: العيافة يعني: زجر الطير، يقال منه: عفت الطير أعيفها، ويقال في غير هذا، عافت الطير تعيف عيفا إذا كانت تحوم على الماء، وعاف الطعام يعافه عيافاً وذلك إذا كرهه، وأما قوله في الطرق فإنه: الضرب بالحصى ومنه قول لبيد.

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع[٢]

وهذا البيت يكشف عن محاولة بعض الشعراء تثقيف الناس على الإيمان بالله تعالى وبما يقدر من القضاء، وإن الطير لأعجز من أن تحط علماً بما يقدر الله تعالى ويصنع.

ويروي ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) اعتراض أحد الرجال الذين يدعون العيافة على أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) في خروجه بالمهاجرين والأنصار لحرب الجمل التي جيّشَ لها طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة؛ فقال:

(لما أراد علي الخروج من الربذة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد والى أين تذهب بنا؟ فقال:

«**أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إنْ قبلوا منا وأجابونا إليه**».

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٤٦.

(٢) الفايق في غريب الحديث، الزمخشري: ج٢ ص٣١٢ .

قال: فإن لم يجيبونا إليه؟

قال: «**ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر**».

قال: فإن لم يرضوا؟ قال:

«**ندعهم ما تركونا**».

قال فإن لم يتركونا قال:

«**امتنعنا منهم**».

قال: فنعم إذاً.

وقام الحجاج بن غزية الأنصاري فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت وانفر بنا واسمر بنا نحو الصوت

لا وألت نفسي إن هبت الموت

والله لأنصرن الله عز وجل كما سمانا أنصارا .

فخرج أمير المؤمنين وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح، والراية مع محمد بن الحنفية، وعلى الميمنة عبد الله بن عباس، وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد وخرج علي وهو في سبعمائة وستين، وراجز علي [عليه السلام] يرجز به:

سيروا أباييل وحثوا السيرا إذ عزم السير وقولوا خيرا

حتى يلاقوا وتلاقوا خيرا نغزو بها طلحة والزبيرا

وهو أمام أمير المؤمنين [عليه السلام]، وأمير المؤمنين علي [عليه السلام] على ناقة له حمراء، يقود فرسا كميتا فتلقاهم بفيد غلام من بني سعد بن ثعلبة بن عامر يدعى مرة، فقال: من هؤلاء؟

فقيل: أمير المؤمنين [عليه السلام]، فقال: سفرة فانية، فيها دماء من نفوس فانية، فسمعها علي [عليه السلام] فدعاه، فقال:

«**ما أسمك**»؟

قال: مرة؛ قال:

«**أَمَرَّ اللهُ عيشك، كاهن سائر القوم**»؟ قال: بل عائف.

فلما نزل بفيد أتته أسد وطيء فعرضوا عليه أنفسهم، فقال:

«**الزموا قراركم، في المهاجرين كفاية**»[1] .

ويظهر من رواية الطبري سريان عقيدة التطير والعيافة فيما بين الناس لا سيما الإنسان العربي في العراق والشام والحجاز واليمن وغيرها.

وقد احتل طائر الغراب من بين الطيور الحيز الأكبر في التطير والعيافة حتى بدا ذلك واضحاً في شعر العرب، ومنه.

١ - قول عنترة بن شداد وتطيره من الغراب:

---

(١) تاريخ الطبري: ٣ ص٤٩٥؛ الفتنة ووقعة الجمل، سيف بن عمر الضبي: ص١٣٧؛ شرح نهج البلاغة، المعتزلي: ج١٤ ص١٨.

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقع

خرق الجناح كأن لحي رأسه جلمان، بالأحبار هش مولع

فزجرته ألا يفرخ عشّه أبدا، ويصبح واحدا يتفجع

إن الذين نعبت لي بفراقهم قد أسهروا ليلى التمام فأوجعوا[1]

٢- وتوجس النابغة أن يترحل عنه أحباؤه لما سمع نعيق الغراب.

زعم البوارح أنّ رحلتنا غدا وبذاك خبّرنا الغداف الأسود[2]

٣- شماتة يزيد بن معاوية بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتمسكه بالتطير.

ومن النصوص ما يكشف عن سريان هذه العقيدة في المجتمع العربي -كما أسلفنا- حتى بعد مجيء الإسلام، فها هو يزيد بن معاوية يخاطب الغراب حينما أشرفت سبايا آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اللاتي ساقهنَّ واليه على الكوفة عبيد الله بن زياد (عليهما لعائن الله تعالى) وهنَّ (عليهنَّ السلام) بتلك الحالة المفجعة لكل غيور ومعهنَّ الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الذي أكلت قيود الحديد من لحم رقبته ويديه، فيقف يزيد منتشيا من سكرة الشماتة بالنبي وآله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيخاطب الغراب قائلاً، وهو ينظر إلى سبايا آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

---

(١) أشعار الشعراء الستة، أبو الحجاج الأعلم: ص٨٣

(٢) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري: ١٥٦.

لما بدت تلك الحمول وأشرقت ... تلك الرؤوس على ربا جيروني

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل ... فلقد قضيت من الرسول ديوني[١]

٤- تطيّر بعض شعراء بغداد في الصراع بين الأمين والمأمون.

ونجد هذه العقيدة مستمرة في الظهور كذلك في القرن الثاني للهجرة وذلك حينما اشتد الخلاف بين الأمين والمأمون العباسيين في صراعهما على الخلافة حتى كادت بغداد تخرب بكاملها، فقال بعضهم:

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ... ألم تكوني زمانا قرة العين

ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم ... وكان قربهم زين من الزين

صاح الغراب بهم بالبين فافترقوا ... ماذا لقيت بهم من لوعة البين

استودع الله قوما ما ذكرتهم ... تحدّر ماء العين من عيني[٢]

والظاهر أن عقيدة التطير بالغراب لها من الأسباب والجذور المتوغلة في ذاكرة الإنسان العربي منذ القدم، وذلك لاختصاص الغراب بمسيرة الإنسان منذ ولديّ آدم (عليه السلام)، حينما أقدم قابيل على قتل أخيه هابيل، فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليعلمه كيف يدفن أخاه؛ قال تعالى:

﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا

---

(١) جواهر المطالب، تأليف الباعوني: ج٢ ص٣٠١؛ مطالب أولي النهى، مصطفى السيوطي الرحيباني الحنبلي: ج٥ ص٦٥٩؛ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين السفاريني: ص١٢٤؛ تفسير روح المعاني للآلوسي: ج٢٦ ص٧٢ .

(٢) البداية والنهاية لأبن كثير: ج١٠، ص٢٦٠.

وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة/ ٣١].

من هنا:

قيل: أنّ الغراب، سمي بهذا الاسم لأن العرب اشتقت من اسمه الغربة والاغتراب والغريب، فضلاً عن تشاؤمهم بنعيبه وسواد لونه[١].

وقد وردت في النهي عن التطير والعيافة أحاديث كثير، ونصوص شريفة، لما يشكله -الى يومنا هذا- من أثار شرعية ونفسية على الإنسان، لم يزل كثير من الناس يعتقدون بذلك، منها:

١ـ عن أنس، قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل**» قالوا: وما الفأل؟ **قال:**

«**كلمة طيبة**»[٢].

٢ـ قال الصادق (عليه السّلام):

«**لا طيرة**»[٣] .

٣ـ وقال (عليه السّلام):

«**كفّارة الطيرة التوكّل**»[٤] .

---

(١) المعتقدات الشعبية في الموروث الشعري: ص١٣.
(٢) رياض الصالحين، النووي: ص٦٥٥ .
(٣) الوسائل ٨: ٢٦٢ / ١.
(٤) الوسائل ٨: ٢٦٢ / ٣ .

٤ـ وقال (عليه السّلام):

«**إذا تطيّرت فامض، وإذا ظننت، فلا تقض**»[١] .

٥ـ وقال الصادق (عليه السّلام):

«**الطيرة على ما تجعلها إن هوّنتها، تهوّنت، وإن شدّدتها، تشدّدت، وإن لم تجعلها شيئا، لم تكن شيئا**»[٢].

٦ـ وقال الرضا (عليه السّلام):

«**من خرج يوم الأربعاء لا يدور خلافا على أهل الطيرة، وقي من كلّ آفة، وعوفي من كلّ عاهة، وقضى الله له حاجته**» [٣].

المسألة السابعة: اعتقادهم بالهامة والصدى.

معنى الهامة لغة هي العقارب والحيات وكل ذي سم من الحشرات وغيرها، وجمعها هوام، قال ابن منظور:

(الهوامُّ: ما كان من خَشاش الأَرض نحو العقارب وما أَشبهها، الواحدة هامّة، لأَنها تَهِمّ أَي تَدِبّ، وهَمِيمُها دبِيبُها؛ قال ساعدة بن جُؤَيَّة الهذليّ يصف سيفا :

تَرى أَثْرَه في صَفْحَتَيْه، كأَنه ... مَدارِجُ شِبْثانٍ لَهُنَّ هَمِيمُ

وقد هَمَّتْ تَهِمُّ، ولا يقع هذا الاسم إِلَّا على المَخُوف من الأَحْناش .

---

(١) الوسائل ٨: ٢٦٢ / ٣ .

(٢) الوسائل ٨: ٢٦٢ / ٢ .

(٣) الوسائل ٨: ٢٦٢ / ٤ .

وروى ابن عباس عن النبي، (صلى الله عليه [وآله] وسلم): أنه كان يُعَوِّذ الحسنَ والحسَينَ [عليهما السلام]، فيقول:

«أُعيذُكُما بكلمات الله التامة، من شرّ كل شيطانٍ وهامّه، ومن شرِّ كل عين لامّه، ويقول: هكذا كان إبراهيمُ يعوّذ إسماعيل وإسحاق، عليهم السلام».

قال شمر: هامّة واحدة الهوامِّ، والهوامُّ: الحيَّاتُ وكلُّ ذي سَمٍّ يَقْتُلُ سَمُّه، وأَما ما لا يَقْتُلُ ويَسُمُّ فهو السَّوامُّ، مشدَّدة الميم، لأَنها تَسُمُّ ولا تبلُغ أَن تَقتل مثل الزُّنْبورِ والعقرب وأَشباهِها، قال: ومنها القَوامُّ، وهي أَمثال القَنافِذ والفأْرِ واليَرابيع والخَنافِس، فهذه ليست بهَوامَّ ولا سَوامَّ، والواحدة من هذه كلها هامّة وسامّة وقامّة .

وقال ابن بُزُرْج: الهامّة الحيّةُ والسامّة العقربُ .

يقال للحية: قد همّت الرجلَ، وللعقرب: قد سمَّتْه، وتقع الهامّة على غير ذواتِ السّمّ القاتِل، ألا ترى أَن النبي، (صلى الله عليه[وآله] وسلم)، قال لكعب بن عُجْرة:

«أَيُؤْذِيكَ هَوامُّ رأْسِك»؟

أَراد بها القَمْل، سمّاها هَوامَّ لأَنها تَدِبُّ في الرأْس وتَهِمُّ فيه.

وفي التهذيب: وتقع الهوامُّ على غير ما يَدِبُّ من الحيوان، وإِن لم يَقْتُلْ كالحَشَرات).[1]

---

(١) لسان العرب: مادة (همم): ج١٢ ص٦٢١.

وكان العرب قبل البعثة النبوية يعتقدون بأن الهوام مسخرة من الجن، ولعل هذا المعتقد لم يزل سائراً في كثير من المجتمعات العربية وغيرها الى يومنا هذا.

ومن ثم فإنّ من الطبيعي أن يتكون لدى الإنسان العربي عقيدة بالأرواح لاسيما وهو يعتقد بالجن والشياطين بهذا النفوذ الحياتي كما مرّ بيانه، ولذا فمن البديهي في أجواء المعطيات الفكرية والظواهر الحياتية القائمة على قسوة الصحراء ومبدأ الثأر المتجذر في فكر الإنسان العربي ونفسيته أن يعطي اهتماماً بالغاً للأرواح لاسيما أولئك الذين قتلوا ولم يؤخذ بثأرهم.

وقد اختلفت الأقوال في معنى الصدى الذي يعتقد به العرب قبل الإسلام، قال المبرد:

(الصَّدَى على ستة أَوجه، أَحدها: مَا يَبْقَى من المَيّتِ في قَبْرِه وهو جُثَّته؛ قال النَّمِر بنُ تَوْلَبٍ:

أَعاذِلُ، إنْ يُصْبِحْ صَدَايَ بقَفْرَةٍ ... بَعِيداً نَآنِي ناصِرِي وقَرِيبي

فصَدَاه: بَدَنه وجُثَّته، وقوله: نَآنِي أَي نَأَى عَنِّي، قال: والصَّدَى الثاني: حُشْوةُ الرأْسِ يقال لها الهَامَةُ والصَّدَى، وكانت العرب تَقولُ: إنَّ عِظامَ المَوْتَى تَصِيرُ هامَةً فتَطِيرُ، وكان أَبو عبيدة يقول: إنهم كانوا يسَمون ذلك الطَّائِرَ الذي يخرُجُ من هَامَةِ المَيِّتِ إذا بَلِيَ الصَّدَى، وجَمْعُه أَصْداءٌ؛ قال أَبو دواد:

سُلِّطَ المَوْتُ والمَنُونُ عَلَيْهِمْ ... فلَهُمْ في صَدَى المَقابِرِ هَامُ

وقال لبيد:

فَلَيْسَ الناسِ بَعْدَكَ في نَقِيرٍ ... ولَيْسُوا غَيْرَ أصْداءٍ وهامِ

والثالث: الصَّدَى الذَّكَر من البُومِ، وكانت العرب تقول: إذا قُتلَ قَتِيلٌ فلم يُدْرَكْ به الثَّأْرُ خَرجَ من رَأْسِه طائِرٌ كالبُومَة وهي الهامَة والذَّكر الصَّدَى، فيصيح على قَبْرِه: اسْقُونِي اسْقُونِي فإن قُتِل قاتِلُه كَفَّ عن صِياحه؛ ومنه قول الشاعر:

أَضْرِبْكَ حتّى تَقولَ الهَامَةُ: اسْقُونِي.

والرابع: الصّدى ما يرجِع عليك من صوتِ الجبل؛ ومنه قول امرئ القيس:

صمَّ صَداها وعَفا رَسْمُها، ... واسْتَعْجَمَتْ عن منطِقِ السَّائل

وروى ابن أَخي الأَصمعي عن عمه قال: العرب تقول الصَّدى في الهامةَ، والسَّمْعُ في الدِّماغ والصَّدى أَيضاً: العَطش .

يقال: صَدِي الرجلُ يَصْدى صَدىً، فهو صَدٍ وصَدْيانُ؛ وأَنشد[1]:

ستعلمُ إن مُتنا صَدىً، أَيُّنا الصَّدي

والصَّدى السادسُ: قولُهُم: فلان صَدى مال إذا كان رفيقاً بسِياسِتها[2]) .[3]

وهذه كغيرها من عقائد الجاهلية واجهها النبي الأكرم، ونهى عنها فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

---

(١) البيت لطرفة من معلقته .

(٢) المراد بالمال هنا الإبل، ولذلك أنث الضمير العائد إليها .

(٣) لسان العرب، ابن منظور: ١٤ ص٤٥٤

«لا عدوى، ولا طيرة، ولا حامة، ولا شؤم، ولا صفر، ولا رضاع بعد فصال، ولا تعرب بعد الهجرة، ولا يوماً إلى الليل، ولا طلاق قبل نكاح، ولا عتق قبل ملك، ولا يتم بعد إدراك»[١].

وقد جسدت أشعارهم هذه العقيدة، فقال ذو الإصبع:

(يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة أسقوني[٢]

وقالوا: إنّ ليلى الأخيلية لما سلمت على قبر توبة بن الحمير خرج إليها هامة من القبر صائحة، أفزعت ناقتها، فوقصت[٣] بها فماتت، وكان ذلك تصديق قوله:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... على ودوني جندل وصفائح[٤]

لسلمت تسليم البشاشة أو زقى ... إليها صدى من جانب القبر صائح

وكان توبة وليلى في أيام بنى أمية)[٥].

المسألة الثامنة: عقيدتهم في دفع القحط والإستمطار عِبْرَ إضرام النار بأذناب البقر.

لعل طبيعة الصحراء والجفاف فرض على الإنسان العربي الالتجاء إلى هذه العقيدة، وهي الاستمطار بأذناب البقر.

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي، باب: كراهة الحذر من العدو: ج١١، ص٥٠٦.

(٢) من قصيدة مفضلية، المفضليات: ١٦٣ .

(٣) وقصت بها، أي سقطت عنها فماتت .

(٤) ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي ٣: ٢٦٧؛ والصفائح: الحجارة العراض تكون على القبور.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد المعتزلي: ج١ ص١١٩

قال الجوهري في الصحاح في مادة: (السلع) بالتحريك، شجر مُرْ، ومنه السلعة لأنهم كانوا في الجدب يعلقون شيئاً من هذا الشجر ومن العشر بأذناب البقر، ثم يضرمون فيها النار وهم يصعدونها في الجبل فيمطرون، زعموا -بذلك-.

قال الشاعر:

أجاعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر[1]

وفي ذلك يقول الجاحظ:

(كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات، وركد عليهم البلاء، واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السَلَع والعُشْر ثم صعدوا بها في جبل وعر وأشعلوا فيها النيران، وضجوا بالدعاء والتضرع، فكانوا يرون ذلك من أسباب السقيا)[2].

وكان أهل مكة إذا أجدبوا رشوا على أنفسهم الماء وتطيبوا، وطافوا بالكعبة، ولبسوا ملابسهم بالمقلوب تيمناً بانقلاب الحال... وصعدوا بالبقر جبل (أبي قبيس)... تيمنا بمغيب الشمس وانعقاد الغيوم، وهطول المطر.

وروى ابن أبي الحديد المعتزلي حال أهل مكة وغيرهم في هذا المعتقد، فيقول:

(وإنما يضرمون النيران في أذناب البقر تفاؤلا للبرق بالنار، وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات، وقال أعرابي:

---

(١) الصحاح للجوهري: ج٣، ص١٢٣١.

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ: ج٤، ص٤٦٦.

شفعنا ببيقور إلى هاطل الحيا فلم يغن عنا ذاك بل زادنا جدبا
فعدنا إلى رب الحيا فأجارنا وصير جدب الأرض من عنده خصبا

وقال آخر:

قل لبني نهشل أصحاب الحور أتطلبون الغيث جهلا بالبقر!
وسلع من بعد ذاك وعشر ليس بذا يجلل الأرض المطر

ويمكن أن يحمل تفسير الأصمعي على محمل صحيح، فيقال: غالت بمعنى أهلكت، يقال: غاله كذا واغتاله أي أهلكه، وغالتهم غول، يعنى المنية، ومنه الغضب غول الحلم.

وقال آخر:

لما كسونا الأرض أذناب البقر بالسلع المعقود فيها والعشر

وقال آخر:

يا كحل قد أثقلت أذناب البقر بسلع يعقد فيها وعشر
فهل تجودين ببرق ومطر

وقال آخر يعيب العرب بفعلهم هذا:

لا در در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الإعسار بالعشر
أجاعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر[1]

(١) شرح نهج البلاغة، المعتزلي: ج١٩ ص ٣٨٢.

بقي هناك بعض المعتقدات لدى العرب قبل الإسلام لكنها لم تأخذ حيزاً كبيراً مثلما أخذه الاعتقاد بالجن والشياطين، والذي لعب الكهنة فيه الدور الأساس، لغرض حفظ نفوذهم في المجتمع، واستدرار الأموال من الناس، ولعل الاعتقاد بالتطير والهامة والصدى ينال الرتبة الثانية في أنتشار العقيدة بالجن، وذلك؛ لما تفرضه البيئة الصحراوية، وطبيعة العيش، والترحل، والغزو، والثأر، وما إلى ذلك، فضلاً عن ما يفد على مكة من أفكار وأساطير بحكم وجود بيت الله الحرام وبفعل التجارة التي تنقل من الشام واليمن؛ فضلاً عن دور الشعراء في نقل أخبار العرب في العراق؛ كالمناذرة، والحيرة، وما اختزنته حضارة وادي الرافدين وقربها من الإمبراطورية الفارسية وأخبارها التي كانت تنقل إلى المجتمع المكي الذي أصبح يتلقى كذلك أخبار الروم والإغريق وقصور الشام وغير ذلك، مما شكل تركيبة فكرية معقدة لدى العرب قبل الإسلام، تكشف عن الجهد الجبار الذي بذله سيد الخلق (صلى الله عليه وآله وسلم) في إصلاح الإنسان الذي أخذ يميز بين هذه المعتقدات، فتأثر ببعضها وترك الآخر، حسبما تفرضه عليه بيئته التي يعيش فيها، وقوانينه العشائرية، وتحكم الكهنة.

بل: إنّ حجم الإسلام الذي هو خير الأديان وشأن المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو سيد الأنبياء والمرسلين يفرضان على العقل والواقع والمنطق أن يكونا موازيين لحجم هذه التركيبة المعقدة من الأفكار والمعتقدات، وإلا لا يتناسب في سيرة العقلاء والأنبياء والمصلحين والفلاسفة والمفكرين أن يظهر عظيم في مجتمع ساذج لا يفقه شيئاً، بل العظمة تقتضي أن يكون المصلح في مجتمع تنوعت فيه الأفكار وتعددت فيه الرؤى واختلفت فيه المعتقدات.

كما هو حال نبي الله أبراهيم (عليه السلام) الذي واجه الوثنية بمختلف ضروبها وأصولها من عبادة الشمس والقمر والزهرة وتعاقب ظاهرة الليل والنهار والأصنام والأوثان والطاغوتية في أدعاء النمرود الربوبية وغيرها مما شهدة بلاد الرافدين وتراكمت فيها المعتقدات.

ولذا نجد أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) يبين أثر الأنبياء (عليهم السلام) لاسيما سيدهم وخاتمهم (صلى الله عليه وآله) في إصلاح الفكر وإرشاد العقل الى الحق وأهله ونبذ الوثنية وتعدد فروعها بين الناس، قال (عليه السلام):

«فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ.

ولَمْ يُخْلِ الله سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَه أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَه مَنْ قَبْلَه عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ إِلَى أَنْ بَعَثَ الله سُبْحَانَه مُحَمَّداً، رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله) لإِنْجَازِ عِدَتِه وإِتْمَامِ نُبُوَّتِه، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُه، مَشْهُورَةً سِمَاتُه كَرِيماً مِيلَادُه، وأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ للهِ بِخَلْقِه أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِه، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِه، فَهَدَاهُمْ بِه مِنَ الضَّلَالَةِ وأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِه مِنَ الْجَهَالَةِ...»[1].

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى، ص٤٤ بتحقيق صبحي الصالح.

ويكشف قوله (عليه السلام) عن خصوصية المجتمع العربي ونفاذ الوثنية فيه، وتعدد ضروبها، فكانت من أصعب ما واجهه الأنبياء من قبله، مما استوجب عليه (صلى الله عليه وآله) بذل كل ما بوسعه في تحريرهم من عبودية الجهل ورق الوثنية:

«**فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ**» وهو ما سنتناوله في الفصل القادم.

الفصل الثاني

كاشفية أقوال الإمام علي (عليه السلام) عن سريان عبادة الأصنام وحاكمية الوثنية العالمية في ديانة العرب.

توطئة

على الرغم من أن كثير من المعتقدات في الجزيرة العربية وتعدد العبادات قد نشأت فيها إلا أن عبادة الأصنام هي الغالبة في المجتمع، بل وأكثرها انتشاراً على الرغم من وجود بعض الديانات السماوية كالحنفية واليهودية والمسيحية والصابئة؛ وإن كان البعض يرى أن الصابئة والحنفية كانتا في عهد واحد، وإنه، أي دين الصابئة، إن لم يكن سماويّا كاليهودية والمسيحية والإسلام، فهو ليس على مستوى الديانات السماوية[1].

من هنا:

رأينا أن ندرس -ولو إجمالاً- أثر هذه الديانات السماوية في المجتمع العربي ولاسيما المكي، ثم نعرج أيضا على غيرها من العبادات التي نالت حيزاً لا يستهان به من عقلية الإنسان العربي قبل الإسلام، لنصل في النهاية إلى مكونات عبادة الأصنام ونفوذها الكبير في المجتمع العربي.

والتي اتضح أنها ترتكز على خليط من انحرافات فكرية أوجدتها بعض الشخصيات التي فهمت هذه الديانات فهما خاصا بها، وعملت على إثبات هذا الفهم في أذهان الناس لتتوالى هذه الإفرازات الذهنية، متخذة سبيل الانحراف عن التوحيد هو السبيل الوحيد الذي تتعبد به ذواتها وتبلور فيه أفكارها الخاصة.

---

(١) الأساطير والمعتقدات العربية: ص١٠٧.

المبحث الأول

الرمزيّة وأثرها في تكوين عبادة الأصنام.

المسألة الأولى: حاجة الإنسان إلى الاعتقاد بالرمز.

لو رجعنا بالبحث إلى المجتمعات البشرية البدائية قبل ظهور الحضارات في وادي الرافدين أو قرب النيل أو في روما أو الصين لوجدنا أن هذه المجتمعات البشرية البدائية حينما نشأ لديها الاعتقاد بشيء ما إنما كان هذا الاعتقاد يرجع إلى ظواهر خاصة في حياة الإنسان وشؤونه اليومية والتي عجز عن فهمها، ومن ثمّ عجز عن التعامل معها، ولذا انصاع إلى التذلل لها وإرضائها سعياً منه لنيل حياة مطمئنة وكريمة.

فكانت هذه المعتقدات لها أسس في ظهورها في حياة الإنسان وهي:

١ ـ الخوف.

يعد الخوف من أهم مصادر المعتقدات البدائية، (وقد قال: (لوكراس)[١] إن الخوف يخلق الآلهة، وبخاصة الخوف من الموت، والخوف من الطبيعة، حيث كان الإنسان البدائي محاطا بالمخاطر الطبيعية، ولم يستطع أن يتصور بأن الموت ظاهرة طبيعية عند البعض وطبيعية بأمر الله عند البعض الآخر، لكن الإنسان البدائي عزاه إلى فعل الكائنات الخارقة للطبيعة.

---

(١) تيتوس لوكريتيوس كاروس، (٩٤ق م) فيلسوف وشاعر روماني. نظم قصيدة مطوّلة دعاها «في طبيعة الأشياء De rerum natura» قد وصف فيها خصائص المادة وطبيعة الذرّات التي يتألف منها الكون، وتحدّث عن أصل الإنسان والأحوال الجوية والزلازل والأمراض وغيرها. (ويكيبيديا).

ويعتقد بأن الخوف من الحيوانات هو أساس ظهور الطوطمية[1]، ويكون الإنسان قد عبد الحيوان لقوته ويرى بعبادته إرضاء له، ولما ظهر الصيد والتدجين وشعر الإنسان بالطمأنينة قلت عبادة الحيوان)[2].

كان إيميل دوركايم (١٨٥٨ - ١٩١٧) أول من اكتشف الدين الطوطمي وما يوازيه من التنظيم الاجتماعي وهو العشيرة ورأى أن القوى الدينية هي القوة الجمعية والمجهولة للعشيرة.

أما سبب اعتبار الطوطم مقدس فيرجع إلى أنه يمثل رمزا للجماعة نفسها فهو يجسد القيم المحورية في حياة الجماعة أو المجتمع وليست مشاعر الإجلال والإكبار التي يحملها أفراد الجماعة ازاء الطوطم الا تعبيرا عن احترامهم للقيم الاجتماعية الأساسية السائدة بينهم.

إن موضوع العبادة هو المجتمع نفسه الذي يسعى إلى أن يؤكد ذاته بذاته، ويرسخ شرعيته وقيمه ومن هنا فإن الآلهة هي صورة للمجتمع وليس المجتمع صورة للآلهة وأن الديانات لا تنحصر في المعتقدات فحسب، بل

---

(١) الطوطم (بالأجيبوي (doodem)): هو أي كيان يمثل دور الرمز للقبيلة، وأحيانا يُقّدس باعتباره المؤسس أو الحامي. أول من أدخل اصطلاح الطوطم إلى اللغة الإنجليزية هو الرحالة ج. لونك عام ١٧٩١ إذ استعمله في كتابه «رحلات مترجم هندي وأسفاره»، واستعمل كلمة الطوطمية في الدراسات الأنثروبولوجيا لأول مرة العالم الإسكتلندي ج. مكلينين في عام ١٨٧٠ عند كتابته مقالا بعنوان «الطوطمية». كانت الطوطمية موجودة لدى عرب الجاهلية، إذ كان لكل قبيلة صنم خاص بها على صورة حيوان أو جزء من الإنسان. وهو عادة شيء مادي مرسوم أو مجسم وربما حيوان أو نبات تعتقد جماعة ما أنه يحتوي على صفات روحانية خارقة ضمن مقدساتها وميراثها. ينظر: ويكيبيديا.

(٢) جغرافية المعتقدات والديانات: ص١٣١ - ١٣٢.

تتجاوزها لتشتمل على مجموعة من الأنشطة الطقوسية والاحتفالية الدورية التي يتجمع فيها المؤمنون ويلتقون معًا. ويؤدي الانفعال الجمعي دورًا مهما في التحولات الاجتماعية الكبرى حيث يولد الدين داخل بيئة الانفعال الجمعي وقد يتراجع فيها أيضا.

حاول دوركايم أن يكتشف منطلقات إنسانية جديدة للأخلاق غير تلك المنطلقات الدينية، التي أصبحت متوارثة دون نقاش ورأى أن أخلاق الدين تقايض الأخلاق مقابل ثمن دنيوي أو أخروي، يجري على شكل طقوس وشعائر لا عقلانية وكان يرى أن المقدس رمز قبل أي شيء والدين هو مجموعة من الرموز والأفعال والمعتقدات المتعلقة بها: أي المنفصلة عن عالم الناس لكنها من جانب آخر توحد الناس في جماعة[١].

٢ ـ العجب مما يحدث أو الجهل في الطبيعة.

تعجب الإنسان البدائي مما يحدث في الطبيعة واندهش من الكوارث الطبيعية، وهو لم يجد لذلك تفسيراً غير عبادتها وتقديسها لإبعاد ضررها[٢].

٣ ـ طلب العون والبركة.

لما كان الإنسان البدائي يحترف الحرف الأولية كالزراعة والصيد والرعي، وإن حرفته هذه تتأثر ولا تأتي في بعض السنوات إنتاجاً فهو يقيم طقوساً تجمع بين التراتيل والرقصات الدينية وإقامة الاحتفالات ونحر الأضاحي

---

(١) ينظر: ويكيبيديا، الطوطمية.

(٢) المصدر السابق.

لغرض إرضاء ما كانوا يعتقدونه مسؤولاً عن الوفرة والخير فظهرت معتقدات كثيرة مرتبطة بالحرف، وتدعى بالديانة المهنية[١].

٤ ـ الموت وما بعد الموت.

كان الإنسان البدائي يعجب مما يراه في نومه، فهو يعجب عندما يرى في أحلامه أناساً ماتوا وقد دفنهم بيده، ويعجب عندما يحدث المرض والموت، لذا جعلته يقتنع بأن كل كائن حي له نفس، أو حياة دفينة في جوفه يمكن انفصالها عن الجسد أثناء المرض أو النوم أو الموت وأن لكل شيء روحاً والعالم الخارجي لا يخلو من الإحساس، فالأشياء ليست جوامد، وهكذا بدأت الروحانية في النظر للأشياء.

فيرى البدائي الجبال والأشجار والصخور والنجوم والشمس والقمر والسماء كلها أشياء مقدسة، لأنها العلاقات الخارجية المرئية للنفوس الباطنية الخفية، وعبد الإنسان البدائي كذلك أرواح زعمائه فنشأت إثر ذلك عبادة الأسلاف[٢].

المسألة الثانية: تطور فكر الحاجة دفع إلى الاعتقاد بالآلهة المتعددة في الحضارات القديمة وتأثر العرب بها في معتقداتهم.

يبقى الإنسان وعلى مدى العصور أسير الحاجة، ويبقى ساعياً إلى فك أسره من الحاجة فيكون حراً، لكن هذه الحرية المنشودة اختلفت الرؤى عند الإنسان في الوصول إليها، فمرة من خلال التذلل للسبب الذي أوجد هذه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) جغرافية المعتقدات والديانات: ص١٣١ - ١٣٢.

الحاجة، ومرة باسترضاء هذا السبب، ومرة بالتفكر لفهم مناشئ هذا السبب الذي يقف وراء وجود الحاجة، فيسعى في البدء إلى نفي السبب، كي لا يقع أسيراً تحت رحمة الحاجة.

ومن هنا: نشأت رؤى فكرية ومذاهب عقلية اعتمدت آليات عديدة صعبة وشاقة وعسيرة مع النفس لغرض الدخول في فلكها والدوران معها وإن تطلب ذلك الترحل في البلاد كما فعل بوذا (حتى أيقن أن تعذيب النفس والتوبة لا يفضيان إلى الحقيقة)[1].

في حين وجد البعض: إنّ التخلي عن العوالق والروابط -حتى مع أبسط هذه الروابط- كاللباس والشراب والنوم والطعام والمسكن، فكيف بالزوجة والولد، والدخول بذلك في حرب لا هوادة لها مع النفس كي ينتصر على الحاجة ما هي إلا قتل للمشاعر والأحاسيس وتعطيل لدورة الحياة وانقراض للجنس البشري.

وحينما نأتي إلى الحضارات القديمة في وادي الرافدين، أو أرض النيل نجد أن الحاجة دفعت بالإنسان إلى التفكير في بداية الخلق.

لتتطور الفكرة حينما واجه العراقيون الطوفان لتنسج معه ميثولوجيا خاصة؛ أسست لبناء عقائدي جديد؛ حتى إذا بدأت دورة من الحياة الجديدة على الأرض بعد هذه المحنة أظهر الإنسان تطوراً في العبادة (ترتكز على نوعين من العبادة:

---

(١) أسرار الآلهة والديانات، تأليف: أ.س. ميغلو ليفسكي: ص١٥٨.

١ - **عبادة عامة**: يقوم الفرد من خلالها - بتحقيق غاية الخلق من وجوده بوساطة كاهن، وتذبح له الذبائح، وتتبعها الصلوات وحرق البخور.

٢ - **عبادة خاصة**: وهي لدفع المكاره من غير وساطة الكاهن كالدعاء وصلاة التوبة والاستغفار)[١].

ثم يتطور فكر الحاجة عند السومريين إلى ثلاث مجالات حياتية:

(١ - الحاجة إلى الأرواح الطيبة لدفع الأرواح الشريرة، وهي العقيدة الإرواحية.

٢ - الحاجة إلى الأرض من الظواهر الطبيعية مما جعلها تتخذ لهذه الظواهر الطبيعية آلهة تعبدها وتقدم لها القرابين حتى تسترضيها وتتخلص من الكوارث، فقد جعلت (إله الري) وهو عندهم (رب الفيضانات)، ومن ثم هناك آلهة الشمس، وآلهة القمر، وآلهة الخصب.

٣ - الحاجة إلى دوام الحرفة الزراعية والصيد فقد (امتهن السومريون الزراعة والصيد وحياتهم مرتبطة بهاتين الحرفتين، وهم في خوف دائم على حرفهم، فوضعوا آلهة تحمي الزراعة وتدعم مقوماتها وكذلك الصيد، فهم يقدمون القرابين تذرعا من أجل الوفرة في الإنتاج والخصب وتكاثر الحيوان)[٢].

ولم يختلف الأمر عند الأكديين عما عليه عند السومريين إلا أن الأمر يتطور عند البابليين، فقد تعددت الآلهة عندهم، وذلك بتنوع الحاجة واتساعها

---

(١) جغرافية المعتقدات: ص١٤٨.

(٢) جغرافية المعتقدات: ص١٥١.

باتساع الحياة وتطور نظرته، لما يدور من حوله، وهو يحاول فهم ما يحيط به، ليتمخض عن ذلك تشريعات جديدة وضعها حمورابي، وفرض على البابليين إتباعها وعاقب عليها.

أما الآشوريون فقد (غيروا بمعتقداتهم لتكون أكثر ملاءمة مع الشؤون الحربية أو الطابع العسكري، وكان الإله آشور هو الإله القومي المدافع عن الآشوريين وإن زوجته عشتار آلهة محاربة تحتل المرتبة الثانية بين الآلهة الآشورية، وعرف من بين الآلهة عند الآشوريين الإله (أدد) و(نامبو) و(مرجال) و(نسكو).

إذاً عبد الآشوريون آلهة متعددة، وأعطوها صفات المقدس الإلهي، وهو شعور شخصية الإله بأنها القوة الخارقة المسيطرة في الكون)[1].

وهذا يدل على أن الحاجة في عهد الآشوريين كانت قد تطورت من الظواهر الطبيعة والحرفية إلى القوة العسكرية، ولذا أوجدوا آلهة لهم تسد الحاجة الجديدة.

ولم يختلف الأمر كثيراً عند المصريين فقد كانت الحاجة وتطور فكر الحاجة هما الأساس في ظهور عبادة الآلهة حسبما تتحكم به الحاجة لدى الإنسان المصري آنذاك.

ولذا (نشأ الاعتقاد بوجود الأرواح في الأشياء، ولهذا تعددت الآلهة، فمنها ما كانت معبودات شريرة سميت بالجن، فكانوا يرهبونها، ومنها

---

(١) جغرافية المعتقدات: ص١٥٨.

كانت آلهة طيبة والتي نالت التقديس والاحترام، والآلهة ذكور وإناث من بينها (إيزيس) واعتبر المصريون القدماء ملوكهم آلهة كذلك)[١].

ولعل المتتبع لهذه الحضارة يغنيه ما ذكرناه من الاختصار والاستشهاد على أن تطور فكر الحاجة لدى الإنسان كان هو الموجد للاعتقاد بتعدد الآلهة، فكان منها علوية مرتبطة بالسماء، كالأفلاك، والكواكب والبروج، والأرواح الطيبة، والبرق والأمطار؛ ومنها سفلية مرتبطة بالعقاب والحساب، ومنها مرتبطة بالقوى الخارقة، الجن والشياطين وأرواح الأموات، ومنها أرضية مرتبطة بالمياه والبراكين، والزلازل، والأشجار والحيوان والزراعة، ومنها ما هو مرتبط بأكثر من آلهة كالأمراض والنيران.

كل ذلك في فكر الحضارات القديمة مرجعه إلى الحاجة وتطور التخلص من قيودها، لينتهي هذا الجدل عند الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، فالحاجة من الله وإلى الله تعالى:

﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل/ ٨٨].

وقوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس/ ٣١].

---

(١) المصدر السابق: ص١٨٩.

ويُظهر النص الوارد عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) أن الأصل في تطور فكر الحاجة عند الإنسان هو بحثه عن الله تعالى فيجعل (عليه السلام) من الحاجة منطلقا للإقرار بالتوحيد، فيقول:

«وأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِه، وعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِه آثَارُ حِكْمَتِه، واعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ قُوَّتِه، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَه عَلَى مَعْرِفَتِه، فَظَهَرَتِ الْبَدَائِعُ، الَّتِي أَحْدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِه وأَعْلَامُ حِكْمَتِه، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَه ودَلِيلًا عَلَيْه، وإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُه بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، ودَلَالَتُه عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ.

فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وتَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِه عَلَى مَعْرِفَتِكَ، ولَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَه الْيَقِينُ بِأَنَّه لَا نِدَّ لَكَ، وكَأَنَّه لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ، إِذْ يَقُولُونَ ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾.

كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ، ونَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ، وأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، والْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِه مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، ونَطَقَتْ عَنْه شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ، فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً، ولَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً...»[1].

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٩١، ص١٢٦-١٢٧ .

المسألة الثالثة: دواعي نشوء الرمزية في ميثولوجيا الشعوب.

على الرغم من أن (الرمزية) هي من نتاج الحركة الأدبية في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر كرد فعل للمدرستين الواقعية والطبعانية، إلّا أنّها هدفت إلى التعبير عن سر الوجود عبر الرمز وقد تأثر الرمزيون، أكثر ما تأثروا، بأعمال بودلير، ومع احتفاظهم بمبدأ «الفن للفن» فقد سعوا في المقام الأول إلى إعطاء القارئ انطباعاً عن وعيهم الباطن، معتمدين في ذلك على الموسيقى والصُّور الشعرية التي تبرز «أحلام الشاعر الداخلية».

ومع أنّ (جون موريـاس Moreas) قد قام بنشر بيان الرمزية في صحيفة «الفيغارو» في ١٨ سبتمبر١٨٨٦ ومع ذلك فإن كثيراً من مؤرخي الأدب يعتبرون (مالارميه Mallarme)، وليس موريـاس، مؤسس الرمزية. على حين يُعتبر (ألبير سامان Samain) (وبول فيرلين Verlaine) و (بول فاليري Valery) من أبرز أركانها

ومن ثم ظهورها كمذهب أدبي فلسفي يعبر عن التجارب الأدبية والفلسفية المختلفة بواسطة الرمز والإشارة أو التلميح)[١].

في حين أن الولادة الحقيقة لاعتماد (الرمز) الذي يعد مدار الرمزيّة حالياً إنما كان متجذراً لدى الشعوب، ويحتل مساحة كبيرة من الميثولوجيا لديها.

(وربما كانت الآداب الهندية أعمق هذه الجذور، لما حملته من نزعات روحية، تدفع الفكر والإحساس نحو فكر من الحرية الخالصة في التخيل

---

(١) موقع ويكبيديا: الرمزية في الأدب والفن.

والتسامي، كما تدفع الشعور الديني نحو غيبة تستريح عندها النفوس من أدران المادة واغلال الواقع، حتى إذا انحسرت عنها أدران الجسد، حلت في (النرفانا) -أي الفناء المطلق في القوة الروحية العظيمة-.

ومن المرجح أن تكون هذه الفلسفة الهندية قد دخلت البلاد الأوربية مع الفلسفة اليونانية القديمة، وفي مقدمتها فلسفة أفلاطون المثالية التي استلهم (كانت) منها معظم مبادئ فلسفته)[1].

من هنا:

(ذهب العالم الألماني (غريدريك كروزر) في كتابه (الرمزية والميثولوجيا لدى الشعوب القديمة)، إلى (أن كهنة آسيا القدامى، قد نقلوا معارفهم الدينية العليا إلى الطبقات الشعبية بطريقة مجازية -وقد أضاف هذا الاستنتاج- بعداً جديداً للرمزية، ألا وهو البعد الديني الغارق في القدم المعبر عن شعائر وطقوس اتحدت اتحادًا صميميًا في الأساطير، في الوقت الذي لم يكن من السهل فصل الدين من الأسطورة لدى الشعوب القديمة.

أو يقول (كاسيرر Cassirer)[2] كلما أوغلنا في تقصي محتوى الوعي الديني للوصول إلى بداياته الأولى اتضح لنا من المحال أن نفصل محتوى العقيدة عن

---

(١) مذاهب الأدب، معالم وانعكاسات: ج٢، الرمزية: ص٩.

(٢) فيلسوف ألماني ومؤرخ فلسفة، ينتمي إلى ما يسمى بمدرسة ماربورج في «الفلسفة الكانطية الجديدة». اشتهر كأبرز شارح للفلسفة النقدية الكانطية في القرن العشرين. غادر ألمانيا في عام ١٩٣٣، وتوفي في نيويورك. من أشهر أعماله: «الجوهر والوظيف» (١٩١٠)، «الحرية والشكل» (١٩١٦)، «فلسفة الأشكال الرمزية» (١٩٢٣ - ١٩٢٩)، «الأسطورة والدولة» (١٩٤٢)، «الرمز والأسطورة والثقافة» (١٩٧٩)، «اللغة والأسطورة» (١٩٢٥). ينظر ويكيبيديا.

اللغة الأسطورية)[١].

والسبب في ذلك يعود إلى أن العقيدة هي من رحم الأسطورة، ولعل الرجوع إلى حضارة وادي الرافدين والنظر إلى ما قام به السومريون حينما (طوروا خلال الألف الثالثة قبل الميلاد، وجهات نظر كان لها تأثير هائل لا على معاصريهم من السومريين الأُوَل فحسب، بل على خلفائهم أيضا من البابليين، والآشوريين الحيثيين والعيلاميين، وسكان فلسطين من الشعوب المجاورة الذين اعتنقوا معتقداتهم الأساسية، وكان تصورهم الرئيسي في جوهره هو أن الكون يتسم بالنظام، وأن كل ما يمكن أن يدركه الإنسان فهو انعكاس لتجلي العقل الإلهي ولنشاط خارق للطبيعية)[٢].

ثم نظرنا إلى ما اعتقده السومريون في (أن لكل موجود كوني أو ثقافي قواعده وقوانينه الخاصة التي تجعله يستمر في الوجود إلى الأبد وفقا للخطة التي وضعها الإله الذي خلقه وهي تسمى (مه me) بالسومرية)[٣].

نلمس ما للأسطورة من فاعلية قوية ومحركة لرسم المعتقد الديني الذي فرض على العقلية البابلية أو غيرها من الشعوب معطيات تكوين عقائدها من إيجاد الرمز الدال على هذا المعتقد أو ذاك.

---

(١) مذاهب الأدب، معالم وانعكاسات: ج٢ - الرمزية: ص٨.

(٢) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة مجلة عالم المعرفة الإصدار ١٧٣: ص١٢.

(٣) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة مجلة عالم المعرفة الإصدار ١٧٣: ص١٤.

ولقد أجاد (جفري بارندر)[١] في كتابه المعتقدات الدينية لدى الشعوب، حينما نقل ظهور الرمزية في الميثولوجيا البابلية، والتي حدد معالم الرمزية ودورها في عبادة الأصنام وغيرها فيقول:

(ولكل إله من الآلهة الكبرى صفات خاصة يبتهل له عبّاده أثناء الصلاة، وهي في مجملها تشع بهاء وروعة، وتخلق جوا من الرهبة يجعل الأنصار قبل الأعداء يرضخون) وقد كان لكل منها تمثاله ورمزه الذي أنفق على زينته بسخاء ليحل محل الإله نفسه ويعرف الإله في الأعمال الفنية، بغطاء للرأس ذي قرون حتى لا يبدو منظره عاديا كأي رجل أو امرأة، ولابد لكل إله أن يحمل رمزاً يعين هويته مثل إله الشمس (وشاماش أو شمش shamash) الذي يحمل في يده منشار البت والقطع، أو تراه واقفا فوق حيوان رمزي أو بجواره).

كما نجد (مردوخ) يقف فوق نسر له رأس حية أو أسد، والإله جولا (Gula)إله الشفاء يمكن تمييزها في الآثار الفنية من وجود كلبها بجوارها، ويمكن كذلك تمييز الآلهة الرئيسية بعدد معيّن يمكن استخدامه في كتابة أسمائهم، أنو العدد ٦٠، وإنليل ١٠، وأيا ٤٠، وسين ٣٠، وشمش ٢٠، وعشتار ١٥)[٢].

---

(١) جيفري بارندر أستاذ الدراسات المقارنة للدين بجامعة لندن. بعد رسامته، أمضى عشرين عامًا في التدريس في غرب إفريقيا ودراسة الأديان الأفريقية، قبل أن يصبح عضوًا مؤسسًا لقسم الدراسات الدينية في كلية جامعة إبادان بنيجيريا. ينظر: https://stringfixer.com/ar/Geoffrey_Parrinder

(٢) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة مجلة عالم المعرفة الإصدار ١٧٣: ص٢٠.

وفي وصفه لـ (آشور) فيقول: (أما آشور فقد كانت آلهة أخرى موضع توقير وتبجيل، عندها، فإله الجو (حدد) يركب العاصفة مطيته الرمزية، وهو يرعد كالثور، ممسكا في يده بشوكة البرق الثلاثية)[1].

وهذا يدل على أن الرمزية إنما ولدت من رحم الميثولوجيا لتكوّن رمزاً يستدل به على ما يعتقد به الإنسان آنذاك في الآلهة.

من هنا:

فإننا حينما ننظر إلى عبادة الأصنام والأوثان والأنصاب في الجزيرة العربية فإنما هي رموز يتعبد بها المكيون وغيرهم من أهل الجزيرة، كما سيمر بيانه في المبحث القادم:

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة مجلة عالم المعرفة الإصدار ١٧٣: ص ١٩.

المبحث الثاني

تطور الرمزيّة وتعدد صورها في الديانات السائدة في الجزيرة العربية فكانت الأصنام أبرز مظاهرها

مثلما حظيت الآلهة في وادي الرافدين أو في أرض مصر أو غيرها من البقاع برموز محدودة سميت بـ (الأصنام) قد تفاوتت في مظهرها وطقوسها وسدنتها ومعابدها حسبما تفرضه الأسطورة الخاصة بذاك الإله أو هذا، أو حسبما يتمايز به الكهنة من قدرات خيالية وفكر خصب في نبع الأسطورة وتحديد أجوائها وطقوسها وأسباب بقائها ليعظم معها هذا الرمز أو ذاك.

فإن العرب في شبه الجزيرة العربية قد أولوا آلهتهم اهتماماً بالغاً حتى باتت الوثنية هي الديانة السائدة في المجتمع المكي وما جاورها من مدن كيثرب (المدينة المنورة) وجدة والطائف.

إلا أن (هذه المعبودات لم تعبد لذواتها، بل عبدت على أساس أنها بيوت للآلهة؛ أو لأنها ترمز إلى معبود أعلى وأسمى، أو لأنهم ربطوها بأسطورة من الأساطير الشعبية، أو وصفوها بصفات غيبية أقامت بينها وبين الأجرام السماوية علاقات غير واضحة تماما)[1].

(ولقد اعتقد الجاهلي -حين جهل خفايا الكون وأسراره، وأخذ يتخبط في شرك الظنون- بالأسطورة، وشرع ينظم حياته وفق هذا المعتقد، واعتقداً بها اعتقاداً تاماً يخضع لها في جوانب كثيرة من حياته، وظهرت الأصنام كتمثيل

(١) الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، لميخائيل مسعود: ص١٤٦.

لهذا الخضوع، لجلب المنفعة ودرء المفسدة، وقامت بدور بارز في الحياة الجاهلية)[١].

حتى صرح الإنسان العربي عن علة اعتقاده بهذه الأصنام فيقول: (هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا)[٢].

وهذه العقيدة التي أظهرها عرب الشمال حينما قدم عليهم عمرو بن لحي فرآهم يعبدون الأوثان، لم تكن وحدها وراء ما تكوّن لعرب مكة وما حولها من عقيدة في الأصنام، بل إن اهتمامهم ببيت الله كان هو أحد أهم الأسباب وراء لجوئهم إلى اعتماد الرمزيّة في مكونهم العقدي.

المسألة الأولى: رمزية الكعبة وأثرها في ظهور الوثنية لدى العرب قبل البعثة.

وفي ذلك يقول الكلبي: (وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة، فحيثما حلوا، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون، على أرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام)[٣].

ولم تزل الكعبة المشرفة - قبل الإسلام - هي نواة الرمزية في العبادة لأهل مكة مما جعلها تنم عن عقيدة لا ترتكز بقوامها على الأسطورة وتناغم الميثولوجيات في الشرق والغرب في الرمز والرمزية فقط - والتي هي نواة

---

(١) الخيل في الشعر الجاهلي، حمود الدغيشي: ص٥٣.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ج١، ص٥١؛ تاريخ اليعقوبي: ج١، ص٢٥٤.
(٣) كتاب الأصنام لأبي هشام الكلبي: ص٦.

المعتقدات والديانات الأرضية كمعتقدات السومريين أو الآشوريين أو البابليين، أو كما هي عند المصريين، أو الصينيين، أو الهندوس وغيرها-.

وإنما ترتكز في قوامها على الاعتقاد بوجود الله سبحانه وما اتصل به من رموز كإبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) فأصبحت نواة العقيدة لأهل مكة والعرب، خليطا بين عقيدة الموحدين وعقيدة أهل الشرك والوثنية، فكانت الأصنام تحف بها من كل جانب، وذلك لما تفرضه رمزية الكعبة من تعظيم عند العرب جميعاً وحجهم إليها ولقد بيّنَ أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) رمزية الكعبة أثرها في العقيدة لدى أهل مكة بنحو خاص والعرب بنحو عام منذ أن بعث الله آدم (عليه السلام) فكانت محلا لابتلاء الناس فنشئ في أذهانهم من تعظيم الأنبياء (عليهم السلام) لبيت الله الحرام رمزا للتقرب الى الله تعالى ونيل رضاه ورحمته عند الموحدين، ورمزا لنيل رضا الأله والأصنام عند الوثنين فوضعوا عندها وحولها وفوقها أصنامهم، مستلهمين أفكارهم من تقديم إبراهيم لولده إسماعيل (عليهما السلام) فداءً للبيت، وتقديم عبد المطلب ولده عبد الله فداء -كما مرَّ بيانه- .

قال (عليه السلام):

«أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الله سُبْحَانَه اخْتَبَرَ، الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى الآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَه الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَه لِلنَّاسِ قِيَاماً، ثُمَّ وَضَعَه بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً، وأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً، وأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ورِمَالٍ دَمِثَةٍ، وعُيُونٍ وَشِلَةٍ وقُرًى مُنْقَطِعَةٍ، لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَه أَنْ

يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَه، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ وغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْه ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، ومَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا، يُهَلِّلُونَ للهِ حَوْلَه ويَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، شُعْثاً غُبْراً لَه قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمُ، ابْتِلَاءً عَظِيماً وامْتِحَاناً شَدِيداً، واخْتِبَاراً مُبِيناً وتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَه الله سَبَباً لِرَحْمَتِه ووُصْلَةً إِلَى جَنَّتِه...»[1].

المسألة الثانية: مدار الأسطورة في دين الوثنية لدى العرب.

ولعل مدار الأسطورة في وثنية العرب إنما انحصر فيما نسجه الكاهن عمرو بن لحي الذي كان له ملهم من الجن. أما ما عدا ذلك سواء ما كان قبل ظهور أساطير عمرو بن لحي أو بعده إنما يرتكز على رمزية الكعبة في نفس الإنسان المكي.

يقول هشام بن محمد الكلبي:

(وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر، كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به؛ وإذا قدم من سفره، كان أوّل ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا.

فلما بعث الله نبيه [صلى الله عليه وآله] وأتاهم بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، قالوا: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾[2] يعنون الأصنام.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢ ص٢٩٣ بتحقيق صبحي الصالح.

(٢) سورة ص، الآية: ٥.

واستهترت العرب في عبادة الأصنام، فمنهم من اتّخذ بيتا؛ ومنهم من اتّخذ صنما، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت، نصب حجرا أمام الحرم وأمام غيره، مما استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت، وسموها الأنصاب. فإذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان، وسموا طوافهم الدوار.

فكان الرجل، إذا سافر فنزل منزلا، أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتّخذه ربا، وجعل ثلاثة أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلا آخر، فعل مثل ذلك.

فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون إليها، وهم على ذلك عارفون بفضل الكعبة عليها: يحجونها ويعتمرون إليها. وكان الذين يفعلون من ذلك في أسفارهم إنما هو للاقتداء منهم بما يفعلون عندها ولصبابة بها)[١].

أما ما اختلط بين الأسطورة والرمزية فكانت هذه الرمزية من رحم الأسطورة المكونة لعبادة الأصنام عند العرب في الجزيرة فتعتمد على ما قيل: بأن أول ما عبدت الأصنام أن آدم (عليه السلام) لما مات، (جعله بنو شيث بن آدم في مغارة في الجبل الذي أهبط عليه آدم بأرض الهند[٢].

---

(١) كتاب الأصنام للكلبي: ص٣٣.

(٢) قال أبو عبيد البكري في (معجم ما استعجم): الراهون جبل بالهند وهو الذي أنزل عليه آدم عليه السلام، وإليه ينسب الحجر الراهوني؛ قال الهمداني: إنما هو جبل الراهوم بالميم لأن الرهام لا تكاد تفارقه، قال: (والعجم تسميه نَوذ أو بَوْذَ)؛ وسماه ياقوت: (الرهون) في أثناء كلامه على جزيرة سرنديب (ج٣، ص٨٣)؛ وأما (لسان العرب) و (تاج العروس) ففيهما (الراهون)؛ وقد وصف ابن بطوطة موضع قدم آدم بهذا الجبل ولم يسمه وإنما ذكر ادات القوم في التبرك به والهداية له (ح٤، ص١٨١)؛ وكذلك ذكره ابن فضل الله في (مسالك الأبصار) (ج١، ص٥٢).

وكان بنو شيث يأتون جسد آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه، فقال رجل من بني قابيل بن آدم: (يا بني قابيل! إنّ لبني شيث دوارا يدورون حوله ويعظمونه، وليس لكم شيء) فنحت لهم صنما، فكان أول من عملها (عمله).

وقال الكلبي: كان ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، قوما صالحين، ماتوا في شهر، فجزع عليهم ذوو أقاربهم، فقال رجل من بني قابيل (يا قوم! هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم، غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا؟) قالوا: نعم! فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم.

فكان الرجل يؤتى أخاه وعمه وابن عمه، فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول، وعلمت على عهد يردى بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم.

ثم جاء قرن آخر، فيعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول. ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا: ما عظّم أوّلنا هؤلاء، إلاّ وهم يرجون شفاعتهم عند الله، فعبدوهم، وعظم أمرهم واشتد كفرهم، فبعث الله إليهم إدريس عليه السلام (وهو أخنوخ بن يارد بن مهلاييل) (بن قينان) نبيّا فدعاهم فكذبوه، فرفعه الله إليه مكاناً عليا.

ولم يزل أمرهم يشتدّ، فيما قال ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، حتى أدرك نوح بن لمك بن متوشلح بن أخنوخ، فبعثه الله نبيا، وهو يومئذ ابن أربعمائة وكذّبوه، فأمره الله أن يصنع الفلك، ففرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة، وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة.

فعلا الطوفان وطبق الأرض كلها، وكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة، فأهبط (ماء الطوفان) هذه الأصنام من (جبل) نوذ إلى الأرض، وجعل الماء يشتدّ جريه وعبابه من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة، ثم نضب الماء وبقيت على الشطّ، فسفت الريح عليها حتى وارتها)[1].

فهذه الأسطورة تكشف عن أن أولاد قابيل ألجأتهم الحاجة إلى (الرمز) كي يدوروا حوله كما يفعل أبناء شيث فصنعوا لهم تمثالاً.

ثم تتحدث الأسطورة عن أن قوم قابيل كان فيهم خمسة رجال صالحين ماتوا في شهر واحد فجزع عليهم ذووهم مما دعاهم إلى صناعة تماثيل لهم لتكون رموزاً يأتون إليها ليتعاظم الأمر فيما بعد على النحو الذي سرى في مكة وغيرها حتى هيمن عليها.

المسألة الثالثة: الرمزيّة في عبادة الكواكب والنجوم لدى العرب.

إن من مظاهر الوثنية البالغة في المجتمع العربي قبل الإسلام هي عبادة الكواكب والتي كان لها جذور متداخلة بين الأسطورة بوصفها قد وجدت لها مجالاً خصباً لارتباطها بالسماء وحركة الكواكب والنجوم والبروج، مما يعزز خيال الكهنة في نسج كثير من هذه الأساطير، فضلاً عما كشفته الديانات الإلهية من معرفة حول هذه المظاهر السماوية وعلاقتها بالملائكة وبخالقها سبحانه وتعالى.

من هنا: نجد أن هذه العبادة قد تداخلت فيها الأساطير البابلية كالثالوث وتداخلت فيها رمزية النور والظلام والروحانيات التي اعتمدها الصابئة،

(١) كتاب الأصنام للكلبي: ص٥٠ - ٥٣.

وبين مساهمات كهنة العرب واعتمادهم الحركة النجمية والكواكبية في بيان المنفعة والمضرة التي دأب الإنسان على معرفتهما قبل أن يقدم على أمر ما، فكيف إذا أضيف إليهما ما رسخ في ذهن الإنسان العربي من عقيدة التطير كما مرَّ سابقاً؟!

ولذا: فقد ذكرت النصوص التاريخية أن (الملك عاد عبد (القمر)؛ وكذلك عبدته قبيلة (كنانة)، وكانت حِمْيَر تعبد (الشمس) وقبيلة ميسم تعبد (الدّبران)، وتعبد قبيلة لخم وجذام (المشتري)؛ وطيء تعبد (سهيلا)، وقيس تعبد (الشعرى)؛ وأسد تعبد (عطارد)؛ وتعبد غطفان وقريش (الزهرة).

وكان بنو مارية بن كلب، وبنو مرة بن همام بن شيبان، أعلم العرب بتحركات النجوم، وكانت عبادة النجوم عند قوم أشد منها عند آخرين)[1].

وقد استدل ميخائيل مسعود على أن العرب اتخذت الأصنام الثلاثة (مناة، اللاّت، العزى) رموزاً للكواكب عبدتها بعض القبائل، فـ (مناة) هي القمر المظلم؛ وإن (اللات) هي رمز النجم (ككت) وهو النسر الواقع، وعليه يكون عبادها من الصابئة؛ وإن (العزى) هي (الزهرة) وكان العرب المجاورون للشام والعراق يعبدونها عند ظهورها، وكانوا يسمونها إذ ذاك العزى)[2].

ولقد كشفت بعض النصوص الشريفة عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) في بيان تنزيه العقول عما علق بها من تأثر رمزية الكواكب ووثنيتها في عقائد الناس لا سيما أهل مكة وقد قسمت القابل عبادة الكواكب بينها، أو

---

(١) الأساطير والمعتقدات العربية: ص١١١.

(٢) الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام: ص١١٢ وص١١٤ وص١١٧.

تأثرها بتعاقب الليل والنهار أو رمزية النور والظلام أو طول الدهر أو الأزل، فيقول (عليه السلام) في دقائق التوحيد وتنزيه الخالق عن صفات الخلق أو الصفات السلبية كما هو مقرر في علم الكلام:

«الْحَمْدُ للهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وسَاطِحِ الْمِهَادِ، ومُسِيلِ الْوِهَادِ ومُخْصِبِ النِّجَادِ، لَيْسَ لأَوَّلِيَّتِه ابْتِدَاءٌ ولَا لأَزَلِيَّتِه انْقِضَاءٌ، هُوَ الأَوَّلُ ولَمْ يَزَلْ والْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ، خَرَّتْ لَه الْجِبَاه ووَحَّدَتْه الشِّفَاه، حَدَّ الأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِه لَها إِبَانَةً لَه مِنْ شَبَهِهَا، لَا تُقَدِّرُه الأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ والْحَرَكَاتِ، ولَا بِالْجَوَارِحِ والأَدَوَاتِ لَا يُقَالُ لَه مَتَى، ولَا يُضْرَبُ لَه أَمَدٌ بِحَتَّى، الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمَّ والْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيمَ، لَا شَبَحٌ فَيُتَقَصَّى ولَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، ولَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ، ولَا يَخْفَى عَلَيْه مِنْ عِبَادِه شُخُوصُ لَحْظَةٍ، ولَا كُرُورُ لَفْظَةٍ ولَا ازْدِلَافُ رَبْوَةٍ، ولَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ، ولَا غَسَقٍ سَاجٍ يَتَفَيَّأُ عَلَيْه الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وتَعْقُبُه الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الأُفُولِ والْكُرُورِ، وتَقَلُّبِ الأَزْمِنَةِ والدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ ومُدَّةٍ وكُلِّ إِحْصَاءٍ وعِدَّةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُه الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الأَقْدَارِ، ونِهَايَاتِ الأَقْطَارِ وتَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ، وتَمَكُّنِ الأَمَاكِنِ، فَالْحَدُّ لِخَلْقِه مَضْرُوبٌ وإِلَى غَيْرِه مَنْسُوبٌ...»[1].

وقال (عليه السلام):

«﴿لَمْ يُولَدْ﴾ سُبْحَانَه فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً، و﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً، ولَمْ يَتَقَدَّمْه وَقْتٌ ولَا زَمَانٌ، ولَمْ يَتَعَاوَرْه زِيَادَةٌ ولَا نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، والْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ، فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِه

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٣ ص٢٣٢ بتحقيق صبحي الصالح.

خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ، وَلَوْ لَا إِقْرَارُهُنَّ لَه بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِه وَلَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِه، وَلَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِه جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ، فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ، أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْه سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ، وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ فِي بِقَاعِ الْأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ، وَلَا فِي يَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِه الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْه بُرُوقُ الْغَمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ، وَانْهِطَالُ السَّمَاءِ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا، وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا...»[1] .

ولم ينته الفكر عند الإنسان العربي قبل الإسلام بهذا الحد من تأثره بعبادة الكواكب وما مازجها من الميثولوجيا العالمية في بلاد الرافدين أو الصين أو أرض مصر أو اليونان أو الإغريق وغيرها من الحضارات والميثولوجيات المتعددة، بل تمازجت في فكره عبادة الحيوان والأشجار فاتخذها رمزا للعبادة.

المسألة الرابعة: رمزية الشجرة والحيوان في الوثنية لدى العرب.

لقد لعبت الطبيعة دوراً مهماً في معتقدات الإنسان لاسيما تلك العناصر التي كانت على تلازم مع حياته، بل: شكلت أحد مكوناته الحياتية التي

(١) المصدر السابق: الخطبة: ١٨٢ ص٢٦١ بتحقيق صبحي الصالح.

يتعذر عليه العيش بدونها، ولذا: نراه قد عمل على عبادتها ظناً منه أنه بهذا العمل يستطيع المحافظة على وجودها ودوام عطائها الذي بات يشكل له دوام حياته واستمرار عيشه.

ولقد اتخذت الشجرة دورها المتميز في الميثولوجيا العالمية ففي وادي الرافدين كانت النخلة لها دورها في المعتقدات البابلية وأن ثمارها خير ما يقدم لنيل رضا الآلهة.

أما شجرة التين فلها حظها الأوفى عند البوذيين فهي التي استنار تحتها بوذا[١]، ولذا سميت (شجرة العلم، أو الشجرة المقدسة، وقد احتلت عند البوذيين مكانة سامية فهم يرون في الشجرة المقدسة شيئا يجب أن يسعى له الناس لا أن يسعى هو للناس، ولهذا زرعوا في كل قصر شجرة واحدة من نوع الشجرة المقدسة يحج الناس إليها في مناسبات مختلفة)[٢].

ولذلك: لم يكن غريباً لدى العرب قبل الإسلام الاعتقاد بالشجرة وتحديداً شجرة النخلة فقد (كان عرب نجران يعبدون نخلة طويلة يأتونها كل سنة في يوم معين، فيعلقون عليها الثياب والحلي النسائية ويعكفون عليها طيلة يومهم)[٣].

(وكان لأهل قريش شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم)[٤].

---

(١) أسرار الآلهة والديانات، أ.س.ميغوليفسكي، ترجمة حسّان ميخائيل: ص١٥٨.
(٢) موسوعة الأديان في العالم: ص١٧٨.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام.
(٤) الأساطير والمعتقدات العربية: ص١١٦.

أما عبادة العرب للحيوان كذاك لم تكن وليدة البيئة الصحراوية، وإنما قد حظيت هذه العبادة في مثيولوجيا الشعوب بدورها المتميز، (فقد عبد المصريون القطط، واحتل الفيل مكانة مقدسة في شبه القارة الهندية حتى عد أحد الآلهة لدى الهنود في آسيا، فضلاً عن عبادتهم للبقر وتقديسهم وصلواتهم لها)[١].

في حين (عبد العرب الحيوانات وجعلوا لها أصناماً، منها (نسر) وهو صنم على صورة طائر النسر و (يغوث) وهو على هيئة الأسد، و (يعوق) على صورة الفرس؛ وعبدوا البهائم والغزلان والجمال)[٢].

فهذه الأصنام كانت رموزاً تدل على اعتقاد العرب في عبادة هذه الحيوانات، كما تكشف عن هيمنة الوثنية وتعدد صورها في المجتمع المكي لتصل إعدادها إلى أكثر من (٣٦٠) صنما في جوف الكعبة وما حولها[٣].

ولقد عالج أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الانحراف الفكري والجهل العقدي وسريانه في المجتمع العربي وتنزيه العقول من ترسبات الرمزية الوثنية في الحيوان والشجر، فتراه (عليه السلام) يخاطب العقول، قائلا:

«ولَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِه، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ، هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ، ومَا الْجَلِيلُ واللَّطِيفُ والثَّقِيلُ والْخَفِيفُ، والْقَوِيُّ والضَّعِيفُ فِي خَلْقِه

(١) موسوعة الأديان: ص٧٩ - ٨٠.
(٢) الخيل في الشعر الجاهلي: ص٥٤.
(٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم: ج٣، ص١٠٨.

إِلَّا سَوَاءٌ، وكَذَلِكَ السَّمَاءُ والْهَوَاءُ والرِّيَاحُ والْمَاءُ، فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ والْقَمَرِ والنَّبَاتِ والشَّجَرِ، والْمَاءِ والْحَجَرِ واخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وتَفَجُّرِ هَذِه الْبِحَارِ وكَثْرَةِ هَذِه الْجِبَالِ، وطُولِ هَذِه الْقِلَالِ وتَفَرُّقِ هَذِه اللُّغَاتِ، والأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وجَحَدَ الْمُدَبِّرَ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، ولَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، ولَمْ يَلْجَئُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، ولَا تَحْقِيقٍ لِمَا، أَوْعَوْا وهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ...» [1].

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥ ص٢٧١ بتحقيق صبحي الصالح.

المبحث الثالث

سريان عبادة الأصنام بين العرب وتأثرهم بالميثولوجيا العالمية

تنحصر ظاهرة عبادة الأصنام في مكة وما حولها من حيث التأسيس لها والدعوة إليها وترويجها في شخص عمرو بن ربيعة، وهو لحي بن حارثة بن عمرو بن عامل الأزدي، وهو أبو خزاعة.

أما ما كان قبل زمن هذا الرجل فإن أهل مكة كانوا على دين إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، وفي ذلك أخرج الشيخ الكليني (رحمه الله) عن الإمام محمد بن علي الباقر (عليهما السلام)، أنه قال:

«لم يزل بنو إسماعيل ولاة البيت ويقيمون للناس حجهم وأمر دينهم يتوارثونه كابر عن كابر حتى كان زمن عدنان بن أدد فطال عليهم الأمر فقست قلوبهم وأفسدوا وأحدثوا في دينهم وأخرج بعضهم بعضاً، فمنهم من خرج في طلب المعيشة، ومنهم من خرج كراهية القتال، وفي أيديهم أشياء كثيرة من الحنيفية من تحريم الأمهات والبنات وما حرم الله في النكاح، إلا أنهم كانوا يستحلون امرأة الأب وابنة الأخت، والجمع بين الأختين وكان في أيديهم الحج والتلبية والغسل من الجنابة إلا ما أحدثوا في تلبيتهم وفي حجهم من الشرك وكان فيما بين إسماعيل وعدنان بن أدد موسى عليه السلام»[1].

---

(١) الكافي للكليني، باب: حج إبراهيم (عليه السلام)، ج٤، ص٢١٠.

ويقول الكلبي:

(إنّ إسماعيل بن إبراهيم [عليهما السلام] لما سكن مكة ولد له بها أولاد كثير حتى ملؤوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق، ولما ضاقت عليهم مكة وقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش.

وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم، تعظيما منهم بها وصبابة بالحرم فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل [عليهما السلام].

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل [عليهم السلام] غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم)[1].

إلا أن هذا التحول لم يكن -كما أسلفنا- سببه الوحيد رمزية الكعبة في نفوس العرب عموماً والمكيين خصوصاً، وإنما لمدخلية الأسطورة في ظهور الوثنية -كما هو شأنها دائما في معتقدات الشعوب- وهذه المرة على يد عمرو بن لحي (فكان أول من غير دين إسماعيل [عليه السلام] فنصب الأوثان، وسيب السائبة ووصل الوصيلة، وبحر البحيرة، وحمى الحامية).

---

(١) الأصنام للكلبي: ص٦.

ولقد استفاد عمرو بن لحي من جده لأمه (الحارث) فقد (كان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة، فلما بلغ عمرو بن لحي، نازعهُ في الولاية وقاتل جرهما ببني إسماعيل، فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة، وتولى حجابة البيت بعدهم.

ثم أنه مرض مرضاً شديداً فقيل له: إنّ بالبلقاء من الشأم حَمّةً إن أتيتها برأت، فأتاها فاستحم بها، فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال: ما هذه؟

فقالوا نستسقي بها المطر، ونستنصر بها العدوّ، فسألهم أن يعطوه منها، ففعلوا، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة)[1].

فكان أول من نقل الميثولوجيا الداعمة لعبادة الأصنام، وأنها القادرة على استجلاب المنفعة كالمطر، ودفع المضرة كالعدو.

ولم يكشف أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ) عن هوية هذه الأصنام التي جاء بها من الشام، وهل أتبع هذا السفر بسفر آخر؟ وهل جلب في غير سفره هذا أصناماً أخرى؟ لاسيما وأن الكعبة فيها أصنام كثيرة فضلاً عما جاءت به القبائل.

كما لم يكشف ابن هشام الكلبي عن تداخل الروايات فيما بين الثالوث (مناة واللات والعزى) وبين أصنام قوم نوح، إلا أننا يمكن لنا الوقوف على هوية هذه الأصنام من خلال قِدَمِها عند العرب وعلاقتهم بها.

ولقد كشف النص الوارد في نهج البالغة عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه

---

(١) الأصنام للكلبي: ص٨.

السلام) عن نفوذ عبادة الأصنام بين العرب من اليمن جنوبًا الى الشام شمالا مرورا بمكة والمدينة والطائف وتغلغلها بين القبائل العربية وبُيوتاتهم المشهورة.

فقال (عليه السلام) وهو يذكر الناس بما بذله رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الجهود الجبارة في إنقاذهم من براثن الوثنية وتعدد ضروبها وأفكارها بينهم وانعكاساتها على حياتهم الفردية والأسرية والاجتماعية:

«إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّداً [صلى الله عليه وآله] نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وفِي شَرِّ دَارٍ مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وتَأْكُلُونَ الْجُشِبَ، وتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ والآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ فمن الله عليكم بمحمد [صلى الله عليه وآله] فبعثه اليكم رسولاً من أنفسكمُ، وقال فيما أنزل من كتابة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾...»[1].

المسألة الأولى: ثالوث مكة قبل الإسلام وأثر الميثولوجيا العالمية في اعتقاد العرب به.

لم تكن فكرة الثالوث وليدة في مكة أو في غيرها من الجزيرة؛ بل هي فكرة قديمة بقدم الأسطورة التي سرت في الحضارات القديمة سواء التي كانت في

---

(١) الغارات، الثقفي الكوفي: ج١ ص٣٠٣؛ نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦، بتحقيق صبحي الصالح: ص٦٨.

أرض الرافدين أو في وسط آسيا لدى الهنود والصينيين أو لدى المصريين أو التي كانت في غرب الأرض لدى الرومان والإغريق، بل لم تسلم منها حتى الديانات التي سبقت الإسلام.

فالثالوث لدى السومريين كان حسبما تقول بعض النصوص الدينية السومرية: (إنّ إليل هو ابن آنو (Anu) (إله السماء) من نسل أول زوجين إلهين وهما أنكي (Enki) ونينكي (Nin-ki) (سيد الأرض وسيدتها)[1].

وفي الهند نجد أن التثليث له حضوره القوي في معتقداتهم القديمة، (وأن أعظم وأشهر عبادتهم اللاهوتية هو التثليث ويسمون هذا التعليم بلغتهم (ترى مورتي) وهي عبارة مركبة وفشنو، وسيفا ثلاثة أقانيم متحدة لا ينفك عن الوحدة فهي إله واحد بزعمهم.

وأن (يرهما) عندهم هو الأب، و(فشنو) هو الابن، و(سيفا) روح القدس.

والتثليث كان عند البوذيين يتكون من (ثلاثة أقانيم، وكذلك بوذيو جنيت يقولون إن جيفا مثلث الأقانيم، والصينيون يعبدون بوذه ويسمونه (فو) ويقولون إنه ثلاثة أقانيم كما تقول الهنود[2].

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تأليف: جيفري بارندر، ترجمة د. إمام عبد الفتاح: ص١٣، ولقد همش المترجم على ما مرّ ذكره قائلا: (انكي هو سيد الأرض ويقابله في الأكادية أسم (أيا) وهو إله الحكمة والتعويذات وسيد محيطات المياه العذبة في جوف الأرض، وبذا يكون الإله أنكي هو إله الخير والعذوبة ومانح الخصب ومفجر الينابيع وزوجته نينكي، وإنكي هو الذي يدير شؤون القوى الإلهية (مه) وبذلك يدير شؤون الكون ويحدد نظامه) -ما يعد نفوذا لفكرة الثالوث في أرض الرافدين-.

(٢) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي: ج٣، ص٣٢٠ - ٣٢١.

وفي مصر كان قسيسو منفيس يعبرون عن الثالوث المقدس، المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم (إن الأول خلق الثاني، وأن الثاني خلق الثالث، وبذلك تم الثالوث المقدس)[1].

ولذلك:

فإن فكرة الثالوث في مكة يرجح أن تكون وافدة الى المجتمع المكي نتيجة لقصد العرب بيت الله الحرام في مكة، مما يعد زحفاً للثقافات والمعتقدات التي كانت منتشرة في الشرق والغرب، ولعل التجارة بين الشمال والجنوب، وحب العرب للشعر وما يؤديه سوق عكاظ من تلاق ثقافي وإعلامي كله ساعد على توافد هذه الأفكار والمعتقدات إلى مكة، ومنها فكرة التثليث أو الثالوث.

فثالوث مكة يتكون من (مناة، واللات، والعزى) وهي آلهة أناث كان أقدمها مناة ثم اللات ثم العزى.

أما اعتماد التأنيث في عبادة الآلهة أو اتخاد آلهة إناث هي أيضاً لم تكن وليدة البيئة المكية.

فقد اتخذ السومريون آلهة إناثاً كانت هي الأخرى ثلاثة فـ (ننجال آلهة سومرية يعني اسمها (السيدة الكبرى) وهي زوجة إله القمر السومري (نانا) أو ننار، والأكادي (سن) وهي أم إله الشمس، أما (أتانا)، فهي أيضاً إله سومرية تدعى في اللغة الأكادية (عشتار) وأصل الاسم في اللغة

(١) المصدر نفسه.

السومرية (تين - أنا) ويعني سيدة السماء، ومن الأسماء الأخرى الأنثوية (أنين) وتدعى بصفتها آلهة الزهرة (فينوس) نينسيانا)[١].

أما من حيث تعظيمها وعبادتها لدى القبائل فمتفاوتة، وهي كالآتي:

أولاً: اعتقادهم بمناة وهو من الأصنام الأنثوية.

ذكرها القرآن الكريم في سورة النجم فقال سبحانه:

﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ٢٠].

مما يدل على أنها أحد أركان الثالوث.

قال الكلبي: (وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله، وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له، ولم يكن أحد أشد إعظاما له من الأوس والخزرج.

وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، بين المدينة ومكة، ولقد كانت العرب تسمى (عبد مناة، وزيد مناة).

وكانت الأوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها، -حينها- يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها، ولا يحلقون رؤوسهم، فإذا نفروا أتوه فحلقوا رؤوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون حجهم تماماً إلا بذلك)[٢].

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، الهامش رقم ١ للمترجم: ص١٧.

(٢) كتاب الأصنام للكلبي: ص١٣ - ١٥.

ولقد عظمته كذلك (الأزد وغسان، وكانوا يحجون إليه، ورمزت له صخرة في هذيل)[١].

ثانياً: اعتقادهم باللات وهو من الأصنام الأنثوية.

من الأصنام المؤنثة التي تعد أحد أركان الثالوث الوثني في مكة هي اللات، (ومكان وجودها في الطائف، وهي أحدث من مناة، وكانت صخرة مربعة؛ وكان يهودي يلتُ عندها السويق، وكان سدنتها من ثقيف، بنو عتاب بن مالك؛ وكانوا قد بنوا عليها بناءً.

وكانت قريش وجميع العرب تعظمها، وبها كانت العرب تسمى (زيد اللات)، (وتيم اللات) وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم؛ وهي التي ذكرها الله في القرآن الكريم فقال:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم: ١٩].

ولها يقول عمرو بن الجعيد:

فإني وتركي وصل كأس لكالذي ... تبرأ من لات وكان يدينها[٢]

وله يقول المتلمس في هجائه عمرو بن المنذر:

أَطَردْتَني حَذْرَ الهجاءِ ولا ... واللاّتِ والأنْصَابِ لا تَئِل[٣]

---

(١) الأساطير والمعتقدات العربية: ص١١٢.

(٢) معجم البلدان، الحموي: ج٥ ص٥ .

(٣) كتاب الأصنام، الكلبي: ص٢؛ جمهرة أشعار العرب، أبن أبي الخطاب القرشي: ص٧٨ .

ومن شدة تعظيم ثقيف للات أنها كانت تحج إليه، وترى أن البيت الذي بنته له أفضل من الكعبة[١].

ثالثاً: اعتقادهم بالعزى وهو من الأصنام الأنثوية.

وهي أحدث من اللات ومناة وذلك أن العرب كانت قد سمت بمناة واللات قبل أن تسمي بالعزى، وكان الذي اتخذ العزى من العرب هو ظالم بن أسعد، وكان سدنتها بنو شيبان بن جابر بن مرة بن عبس بن رقاعة بن الحارث بن عتبة بن سليم، وكان آخر من سدنها منهم دبية.

أما مكان وجودها فقد كانت بواد من نخلة الشامية، يقال له حرض بإزاء الغمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة، وذلك فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال، فبنى عليها بيتا، وكانوا يسمعون فيه الصوت، وكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها، ويهدون لها، ويتقربون عندها بالذبح.

وكانت قريش قد حمت لها شعباً من وادي حراض يقال له سقام، يضاهون به حرم الكعبة؛ وكان لها منحر ينحرون فيه هداياها، يقال له الغبغب، وكانوا يقسمون لحوم هداياهم فيمن حضرها، وكان عندها.

ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئاً من الأصنام إعظامهم العزى، ثم اللات، ثم مناة، فأما العزى فكانت قريش تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية، وذلك فيما أظن لقربها منهم.

---

(١) الأساطير والمعتقدات العربية: ص١١٣.

وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش العزى، وكانت الأوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين، وكلهم كان معظماً للعزى، وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول:

واللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى
فإنهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى[1]

وكانوا يقولون بنات الله (عزّ وجل) وهن يشفعن إليه[2]، فلما بعث الله رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنزل عليه:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم:١٩-٢٣].

المسألة الثانية: اعتقاد العرب بأصنام قوم نوح وظهورها في نجد، وهي (ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر).

من الأصنام التي عبدتها العرب وعظمتها هي أصنام قوم نوح (عليه السلام)، والتي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح/ ٢١-٢٣].

---

(١) الأصنام، الكلبي: ص ١٩ .
(٢) المصدر السابق.

وتقول الرواية التاريخية إن قوم نوح لما أصابهم الطوفان وأغرق كل شيء على الأرض فإن هذه الأصنام جرفتها الأمواج وحملتها حتى ألقت بها على ساحل مدينة نجد، وقد كشفتها الرياح.

ويروي الكلبي في كتاب الأصنام:

(إن عمرو بن لحي كان كاهنا (وكان قد غلب على مكة أخرج منها جرهما وتول سدانتها، وكان له رئيٌ من الجن وكان يكنى أبا ثمامة، فقال له -أي الجن-: عجل بالسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة!

قال: جير ولا إقامة.

قال: أيت ضف جدة (أي: ساحلها) تجد فيها أصناماً معدة، فأوردها تهامة ولا تهب ثم أدع العرب إلى عبادتها تجب)[1].

فأتى شط جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة، وحضر الحج، فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة، وهي على النحو الآتي:

أولاً- الصنم: وِدّ.

وتكشف رواية الكلبي أن بعض العرب قد استجاب إلى هذه الدعوة، فأما الصنم (ود) فقد أجابه إليه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة، فدفع إليه فحمله إلى وادي القرى فاقره بدومة الجندل؛ ثم سمت العرب به بـ: عبدود.

وجعل عوف بن عامر الذي يقال له عامر الأجدار سادنا له، فلم تزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالإسلام، وكان تمثال (ود) على هيئة رجل كأعظم

(١) كتاب الأصنام للكلبي: ص٥١ - ٥٦.

ما يكون من الرجال، قد نقش عليه حلتان، متزر بحلة مرتد بأخرى، عليه سيف قد تقلده، وقد تنكب قوسا، وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة (أي جعبة) فيها نبل.

ثانياً ـ الصنم: سُوَاعٌ.

وأما الصنم (سواع) فقد أقدمت مضر بن نزار على عمرو بن لحي فاستجابت لدعوته فدفع إلى رجل من هذيل، يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر هذا الصنم، فكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة، بعيدة من يليه من مضر، وفيهم قال رجل من العرب:

تراهم حول قيلهم عكوفا ... كما عكفت هذيل على سواع

تظل جنابه صرعى لديه ... عشائر من ذخائر كل راع[1]

وكان سواع على صورة امرأة، وكان قليل الذكر في أشعارهم[2].

ثالثاً ـ الصنم: يَغُوثُ.

وكان من بين أصنام قوم نوح (يغوث) وقد أجابت مذحج عمرو بن لحي حينما دعا العرب لعبادة هذه الأصنام فدفع إليها، أي إلى قبيلة مذحج (يغوث) فوضع في اليمن فعبدته مذحج ومن والاها فكان الذي استلمه أنعم بن عمرو المرادي[3].

(١) كتاب الأصنام للكلبي: ص٥١ – ٥٦.
(٢) الأساطير والمعتقدات العربية: ص١٥٠.
(٣) كتاب الأصنام: ص٥٧.

وكان يغوث على صورة أسد، وتنازعته القبائل، فقاتل بني أنعم عليه بنو غطيف، فهربوا به إلى نجران فأقروه عند بني النار من بني الحارث فاجتمعوا عليه؛ قال الشاعر:

وساربنا يغوث إلى مراد فناجزناهمُ قبل الصباح[١]

رابعاً ـ الصنم: يَعْوَقٌ.

وكانت همدان من بين القبائل التي لبت دعوة عمرو بن لحي فدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم بن حاشد هذا الصنم (يعوق)[٢].

وكان هذا الصنم لقبيلة كنانة، وقيل كان لهمدان وخولان[٣]، وقال الكلبي: إن حمير هي التي أجابت عمرو بن لحي فدفع إليهم يعوق لرجل يقال له: معد يكرب[٤].

وقد أقيم بقرية يقال لها: خيوان من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة، وكان هذا الصنم على صورة فرس، وهو خامل الذكر لم يسموا به أحداً، ولم يقولوا فيه شعراً، ويعود السبب في ذلك إلى أنه كان قرب صنعاء جارة حمير التي تدين باليهودية[٥].

خامساً ـ الصنم: نَسْرٌ.

وهو من الأصنام الخمسة التي كانت لقوم نوح، وكان بموضع من أرض

---

(١) الأساطير والمعتقدات العربية: ص١٥٠، ١٥١.
(٢) كتاب الأصنام: ص٥٧.
(٣) الأساطير والمعتقدات العربية: ص١٥١.
(٤) كتاب الأصنام: ص٥٧.
(٥) الأساطير والمعتقدات العربية: ص١٥١.

سبأ، يقال له: بلخع، تعبده حمير ومن والاها، ولم يزالوا على عبادتهم له حتى هوّدهم ذو نواس[١].

ومن الملاحظ فيما أورده الكلبي وغيره في بيان هذه الأصنام الخمسة أنه قال:

(فلم تزل هذه الأصنام تُعبد حتى بعث الله النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] فأمر بهدمها)[٢].

ولم يصرح الكلبي عن الشخص الذي امتثل لأمر النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] فقام بهدم هذه الأصنام وتكسيرها.

في حين أننا نجد أن الإمام علياً (عليه السلام) قد صرّح بأنه هو الذي هدمها وكسرها، فقال:

«أنا الذي كسرت يغوث ويعوق ونسرا»[٣].

المسألة الثالثة: اعتقاد العرب بأصنام الكعبة وأبرز ما اَمتازت به وأثر الكهنة في تعظيم الاعتقاد بها.

امتازت أصنام العرب في مكة بميزات حددتها الكهنة أو عمرو بن لحي أو ما كان مرافقاً لحدث كأصنام قوم نوح الخمسة التي مرَّ ذكرها، أو كـ (إساف ونائلة) اللذان رافقهما حدث محدد أفرز مجموعة من الدلالات التي كان لها تأثيرها الإيجابي والسلبي على العرب -كما سيمر بيانه- وهي على النحو الآتي:

---

(١) كتاب الأصنام: ص٥٨.

(٢) كتاب الأصنام للكلبي: ص٥٨.

(٣) الفضائل لأبن شاذان: ص٨٥؛ حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني: ج٢، ص١٢٦.

أولاً ـ صنما الكعبة، وهما: إساف ونائلة.

ذكرهما أبو المنذر الكلبي في كتاب الأصنام، عن ابن عباس: (أن إسافا ونائلة رجل من جرهم يقال له إساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها في أرض اليمن فأقبلوا حجاجا فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجر بها في البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب)[١].

وقيل إنهما كانا رجلين، وذلك حسبما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد سأل عن إساف ونائلة وعبادة قريش لهما فقال (عليه السلام):

«نعم، كانا شابين صبيحين، وكان بأحدهما تأنيث، وكانا يطوفان بالبيت، فصادفا من البيت خلوة، فأراد أحدهما صاحبه ففعل، فمسخهما الله حجرين، فقالت قريش: لولا أن الله (تبارك وتعالى) رضي أن يعبدا معه ما حولهما عن حالهما»[٢].

وقد اختلفت الروايات في تحديد مكان وجودهما:

١ – فمنها ما قالت: إنهما كانا عند الصفا والمروة، وفيها نزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

---

(١) كتاب الأصنام للكلبي: ص٩.

(٢) قرب الإسناد للحميري القمي: ص٥١؛ الكافي للكليني: ج٤، ص٥٤٦؛ وسائل الشيعة للحر العاملي: ج١٣، ص٢٤٠؛ تفسير السمرقندي: ج١، ص١٣٣؛ وقد نسب الحديث لأبي بريدة.

وكان المسلمون قد كرهوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة لوجود هذين الصنمين عليهما، وكان ذلك في عمرة القضاء قبل عام الفتح[١].

٢ - إنهما كانا على شط البحر، وأن الأنصار في الجاهلية كانوا يهلون لهما ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة ثم يحلقون[٢].

٣ - أن قصي بن كلاب قد جعل أحدهما ملاصقاً للكعبة والآخر بزمزم[٣].

٤ - إنهما عند الكعبة (أعزها الله) عند الركن اليماني وركن الحجر الأسود[٤].

ولقد حظي هذان الصنمان بتعظيم كبير من قريش والأحابيش وغيرهم من العرب، وذلك أن الحاج إذا أراد الطواف ببيت الله الحرام يبدأ بإساف فيقبله ويمسح على وجهه ثم يختم بنائلة وهذه السُنّة أوجدها عمرو بن لحي حينما نصبهما في هذين الموضعين من الكعبة[٥].

وكان البعض منهم يحلق عندهما ويذبح، فقد روي: أن أبا سفيان لما رجع إلى مكة في عام الفتح جاء فحلق رأسه عند الصنمين، (أي إساف ونائلة) وذبح لهما، وجعل يمسح بالدم رؤوسهما، ويقول:

(لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبي)[٦].

---

(١) الينابيع الفقهية لمروارید: ج٧، ص٣٤٥؛ المبسوط للسرخسي: ج٤، ص٥٠.
(٢) صحيح مسلم، باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة: ج٤، ص ٦٨.
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي: ج٩، ص٢١.
(٤) مسند الشاميين: ج٤، ص٧٧؛ تاريخ اليعقوبي: ج١، ص٢٥٥؛ تفسير الثعلبي: ج١٠، ص٤٧؛ مجمع البيان للطبرسي: ج١٠، ص١٣٨.
(٥) فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ج٦، ص٤٠٠؛ تاريخ اليعقوبي: ج١، ص٢٥٥؛ جامع البيان للطبري: ج٢٩، ص١٨٤؛ تفسير القرطبي: ج١٩، ص١٦.
(٦) مغازي الواقدي: ج٢ ص٧٩٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٧، ص٢٦٤.

في حين كان قصي بن كلاب جد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يكلم قريشاً وغيرهم من العرب فينهاهم عن عبادة الأصنام قاطبة[١].

ولشدة اهتمامهم بهذين الصنمين فقد كانوا يلبسانهما ثياباً، فكلما بليت أخلفوا لهما ثيابا جدداً[٢].

ثانياً ـ صنم قريش الأعظم، هُبَلْ.

يختلف (هبل) عن بقية أصنام العرب فقد أحيط بعناية خاصة أفرزتها تكهنات عمرو بن لحي الذي قدم به من أرض الشام، وكان (هبل) على صورة إنسان مصنوع من عقيق أحمر وكانت يده اليمنى مكسورة، وقد أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب[٣].

ومما ساعد على تعظيم العرب لهذا الصنم: (إنّ عمرو بن لحي جاء به فنصبه في جوف الكعبة ووضعه على بئرها وأمر الناس بعبادته وتعظيمه فكان الرجل إذا قدم من سفره بدأ به قبل أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده)[٤].

(وكان قدام -هبل- سبعة أقداح، مكتوب في أولها: (ضريح)، والآخر (ملصق) فإذا شكوا في مولود (هدوا له هدية، ثم ضربوا بالقداح، فإن خرج (ضريح) الحقوه به، وإن خرج (ملصق) دفعوه.

وقدح على الميت؛ وقدح على النكاح[٥]؛ وقدح مكتوب فيه (الغفل) إذا

(١) تفسير الرازي: ج٢، ص١١٤.
(٢) إخبار مكة للأزرقي: ص٥٧.
(٣) كتاب الأصنام للكلبي: ص٢٨.
(٤) السيرة الحلبية: ج١، ص١٧.
(٥) كتاب الأصنام: ص٢٨.

اختلفوا فيمن يحمله منهم ضربوا به فعلى من خرج حمله؛ وقدح فيه (بها) وقدح فيه (مابها) إذا أرادوا أرضا يحفرونها للماء)[١].

ويكشف هذا المنهج من القداح والعمل بها على نفوذ الوثنية في نفوس المكيين، لاسيما قريش إلى الحد الذي أشركوه -حسب عناوين تلك القداح- في تفاصيل حياتهم اليومية فلهبل رأي في الأنساب والأعراض ونزاهة المواليد، ولهبل رأي في الأموات، ولا يعلم ماذا أرادوا بقدح الميت، ولعل المسألة لا تتعدى عن اعتقادهم في مصير هذا الميت بمعنى: أن قريشاً وغيرها من العرب كانت تؤمن بالحياة ما بعد الموت وبخاصة فيما لو رجعنا إلى عقائدهم التي كان من بينها (إن بعضهم إذا حضره الموت يقول لولده، أدفنوا معي راحلتي فيربطون الناقة معكوسة الرأس إلى مؤخرها، مما يلي ظهرها، ومما يلي كلكلها، ويأخذون ولية (خيط) فيشدون وسطها ويقلدونها عنق الناقة ويتركونها عند القبر، ويسمون تلك الناقة (البلية)، والخيط التي تشد به (وليّ).

ولعل أوضح النصوص التي استحضرت هذا المعتقد أبيات عمرو بن زيد الكلبي وهو يوصي ابنه:

أبني زودني، إذا فارقتني ... في القبر راحلة برحل قاتر

للبعث اركبها إذا قيل اظعنوا ... مستوسقين معا لحشر الحاشر

من لا يوافيه على عيرانة ... والخلق بين مدفع أو عاثر[٢]

---

(١) السيرة الحلبية: ج١، ص١٨.

(٢) الحبر، ابن حبيب البغدادي: ٣٢٤ .

وتدل القداح أيضاً على إبداء رأي هبل في شريان الحياة ودوام بقاء الإنسان، وهو الماء، فلهبل رأي في حفر الآبار، ولهبل رأي في تقرير مصير الزوجين وحسن حالهما فكان قدح للنكاح.

وهو ما تناوله أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله:

«أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَه ووَرَدُوا مَنَاهِلَه، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُه وقَامَ لِوَاؤُه، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا ووَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ وشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ».

وفي تكسير هبل، ودك رموز الوثنية كانت الصورة على النحو الآتي:

(... وكان على البيت صنم طويل يقال له هبل، فنظر رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] إلى أمير المؤمنين [عليه السلام]، وقال له:

«يا علي تركب عليّ أم أركب عليك لألقي هبل عن ظهر الكعبة؟».

قلت يا رسول الله، بل تركبني، فلما جلس على ظهري لم أستطع حمله لثقل الرسالة، بل قلت: يا رسول الله بل أركبك فضحك فنزل فطأطأ لي ظهره واستويت عليه، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أردت أن أمس السماء لمسستها بيدي فألقيت هبل عن ظهر الكعبة فأنزل الله تعالى: ﴿وقل جاء الحق﴾ يعني قول: لا إله إلّا الله محمد رسول الله [صلى الله عليه وآله] ﴿وزهق الباطل﴾ يعني: وذهب عبادة الاصنام؛ ﴿إن الباطل كان زهوقا﴾ يعني ذاهبًا؛ ثم دخل البيت فصلّى فيه ركعتين)[1].

(١) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج١، ص٤٥٤.

المسألة الرابعة: كاشفية قوله (عليه السلام) عن حاكمية الوثنية في ديانة العرب قبل البعثة.

يرشد قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «**فَبَعَثَ الله مُحَمَّداً [صلى الله عليه وآله] بِالْحَقِّ، لِيُخْرِجَ عِبَادَه مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِه، ومِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِه، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَه وأَحْكَمَه، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوه، ولِيُقِرُّوا بِه بَعْدَ إِذْ جَحَدُوه، ولِيُثْبِتُوه بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوه، فَتَجَلَّى لُهُمْ سُبْحَانَه فِي كِتَابِه، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْه بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِه، وخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِه، وكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ، واحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ**»[1] الى حاكمية الوثنية في ديانة العرب قبل الإسلام وتنوعها بفعل تأثرها بالميثولوجيا العالمية ولعل التشابه بين الوثنية التي ظهرت في أرض بابل والتي ظهرت في شبه الجزيرة العربية يقودنا إلى بعض الاستنتاجات منها:

١- كثرة الأصنام في كلا المكانين يدعو إلى وجود حالة من الميثولوجيا الوثنية التي سادت أرض بابل والجزيرة العربية، وإن هذه الميثولوجيا متقاربة إلى حد كبير.

٢- إنّ التركيبة الوثنية فيما بين الموضعين متشابهة فيما بينها، ففي بابل هناك مجمع للآلهة ضمن معبد رئيسي انحصر في بعض المدن، وذلك حسب توالي حضارات وادي الرافدين، فقد كانت مدينة أوروك (الوركاء) مدينة تضم مجمع الآلهة السومرية؛ في حين أصبحت مدينة إكور موضع توقير عال وتضم مجمع الآلهة بعد انتصارها على مدينة أوروك[2].

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٧.

(٢) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جيفري باوندر: ص١٣ - ١٥.

في حين ظلت مدينة (نيبور) مدينة مقدسة ومركزا للحج طوال تاريخ بابل، لينتقل المجمع إلى مدينة بابل في عهد (مردوخ) كبير الآلهة، في المقابل نجد الفكرة قائمة في مكة (أعزها الله تعالى) فقد جعلها عمرو بن لحي وأبناؤه مجمعاً للآلهة[١].

٣- تشترك الوثنية في كلا البلدين بهيكلية واحدة ففي بابل يمتاز مجمع الآلهة بصنم كبير هو رئيس الآلهة أو الأعظم فيهم ثم يحف به مجموعة من الأعوان والخدم والخاصة وقد وزعت عليهم مهام متعددة.

في الهيئة نفسها نجد الوثنية في مكة فهبل قد منح صفة الأعظم فيما بين الأصنام، وقد أوكلت إليه مهام كثيرة حسبما مرَّ بيانه مما خلق حالة من التعظيم لهذا الصنم فضلاً عن تكون الثالوث البابلي والثالوث المكي في (مناة، واللات، والعزى) وأنهن آلهة إناث وهن بنات الله كما ينص القرآن على هذا الصورة العقدية السائدة في مكة.

إلا أن الفارق بين الوثنيتين البابلية والمكية: إن الوثنية عند المكيين بلغت الاستهتار (في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتاً، ومنهم من اتخذ صنما، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيتٍ، نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره، مما استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت، وسمّوها الأنصاب؛ فإذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان، وسموا طوافهم الدوّار.

فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً، أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتّخذه ربّاً، وجعل ثلاثة أثافيّ لقدره؛ وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلا آخر، فعل مثل ذلك.

(١) المصدر نفسه.

فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقرّبون إليها، وهم على ذلك عارفون بفضل الكعبة عليها: يحجّونها ويعتمرون إليها، وكان الذين يفعلون من ذلك في أسفارهم إنما هو للاقتداء منهم بما يفعلون عندها ولصبابة بها.

وكانوا يسمّون ذبائح الغنم التي يذبحون عند أصنامهم وأنصابهم تلك العشائر[1]؛ والمذبح الذي يذبحون فيه لها، العتر؛ ففي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى:

فزل عنها وأوفى رأس مرقبة ... كمنصب العتر دمى رأسه النسك

هلا سألت بني الصيداء كلهم ... بأي حبل جوار كنت أمتسك[2]

وكانت بنو مليح من خزاعة - وهم رهط طلحة الطلحات - يعبدون الجنّ، وفيهم نزلت:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف:١٩٨])[3].

---

(١) والعتيرة في كلام العرب الذبيحة؛ كان الرجل يقول: إذا بلغت إبلي كذا وكذا، ذبحت عند الأوثان كذا وكذا عتيرة، والعتيرة من نسك الرجيبة، والجمع عتائر، والعتائر من الظباء، فإذا بلغت إبل أحدهم أو غنمه ذلك العدد، استعمل التأويل، وقال: إنما قلت إني أذبح كذا وكذا شاة، والظباء شاة، كما أن الغنم شاة، فيجعل ذلك القربان شياء كله، مما يصيد من الظباء، فلذلك يقول الحارث بن حلّزة اليشكريّ:

عنتا باطلا وظلما كما تع . . . تر عن حجرة الربيض الظبا

ينظر: «كتاب الحيوان، الجاحظ: ج١، ص٩».

(٢) أشعار الشعراء الستة، أبو الحجاج الأعلم: ص ٥١

(٣) كتاب الأصنام، الكلبي: ج١ ص٣٣-٣٤.

وهـذا يكشـف عـن تـردي المسـتوى الفكـري في تركيبـة المجتمـع المكـي، فهـي تركيبـة معقـدة قـد توغلـت فيهـا الوثنيـة إلى التجـذر، فنبتـت عليهـا عـروق الإنسـان العـربي إلى المسـتوى الـذي كشـفته النصـوص السـالفة باتخـاذ الإنسـان المكـي أربعـة أحجـار، جعـل إحداهـا إلهـاً يعبـده والثلاثـة الأخـر مسـاند يوقـد تحتهـا النـار، فـإذا رحـل تركهـا، بعـد أن يرفسـها برجلـه، ولذلـك فقـد روى ابـن أبي شـيبة الكـوفي (٢٣٥هـ):

(عـن يعقـوب بـن زيـد بـن طلحـة التيمـي ومحمـد بـن المنكـدر قـالا: وكان بهـا يومئـذ سـتون وثلاثمائـة وثـن عـلى الصفـا، وعـلى المـروة صنـم، ومـا بينهـما محفـوف بالأوثـان، والكعبـة قـد أحيطـت بالأوثـان.

قـال محمـد بـن المنكـدر: فقـام رسـول الله [صـلى الله عليـه وآلـه] ومعـه قضيـب يشـير بـه إلى الأوثـان، فـما هـو إلا أن يشـير إلى شيء منهـا فيتسـاقط حتـى أتـى أسـافا ونائلـة وهمـا قـدام المقـام مسـتقبل بـاب الكعبـة، فقـال:

«**عفروهمـا**»، فألقاهمـا المسـلمون، قـال: «**قولـوا**»، قالـوا: مـا نقـول يـا رسـول الله؟ قـال: «**قولـوا: صـدق الله وعـده، ونـصر عبـده، وهـزم الأحـزاب وحـده**»[1]).

فـكل هـذا النسـيج العقـدي والقيمـي وعـلى اختـلاف منابعـه وتقاطـع معانيـه ودلالاتـه واجهـه رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) عِـبْرَ ثـلاث وعشريـن سـنة حتـى جعلهـم خـير أمـة أخرجـت للنـاس، بل يكشـف هـذا عن حجـم المعركـة الفكريـة التـي خاضهـا النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) في إصـلاح الإنسـان.

---

(١) المصنف: ج٨ ص٥٣٧.

من هنا:

بقي أن نحيط القارئ الكريم بما كان لبطون القبائل العربية من أوثان وأصنام في مكة وما حولها، ليدرك حجم الجهد الذي بذله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام) في محاربة الوثنية، لتصل في مراحلها الأخيرة إلى تكسير هذه الأصنام ولتبدأ معها مرحلة جديدة في محاربة الوثنية الطاغوتية التي أكملها علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد أن آزر وناصر النبي (صلى الله عليه واله) في الحرب على الوثنية والصنمية[1].

أما أصنام العرب وأوثانهم المنصوبة بينهم وتعظيمهم لها، فهي على النحو الآتي:

أولاً ـ تعظيمهم لوثن ذو الخلصة فاتخذوا له بيتاً سمي بالكعبة اليمانية.

كان في مدينة (تبالة)، وهي بين مكة واليمن، وكان له بيت يسمى: الكعبة اليمانية، والبيت الحرام يسمى: الكعبة الشامية[2].

وقد عبدته قبيلة بجيلة، وخثعم، والحارث بن كعب، وجرم، وزبير،

---

(١) إن عملية تكسير الأصنام أحاطت بها العديد من المغالطات والتحريف الذي أريد منه دفع جهاد أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) في توليه مع رسول الله (صلى الله عليه واله) تكسيرها، ولقد منَّ الله علينا بسابق لطفه وفضله وفضل رسوله (صلى الله عليه وآله) في دراستها في كتابنا الموسوم: بـ (تكسير الأصنام ببين تصريح النبي (صلى الله عليه وآله) وتعتيم البخاري، دراسة في الميثولوجيا والتاريخ ورواية الحديث)، إصدار العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية، ط١ مؤسسة الأعلمي- بيروت لسنة ٢٠١١م.

(٢) معجم البلدان للحموي: ج٢، ص٣٨٣.

والغوث بن مر ابن أد، وبنو هلال بن عامر[١]، وأزد السراة، ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن[٢].

مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج[٣]، وكان سدنتها بنو أمامة بن باهلة بن أعصر[٤].

وحكى المبرد: (إن موضع ذي الخلصة صار مسجداً جامعا لبلدة يقال لها البلات من أرض خثعم، ووهم من قال إنه كان في بلاد فارس)[٥].

ولهذا الصنم أو كعبته حدث في تاريخ المسلمين فقد روي (أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لما فتح مكة وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها، قدم عليه جرير ابن عبد الله مسلما، فقال له:

«يا جرير! ألا تكفيني ذا الخلصة»؟

فقال: بلى! فوجّه إليه، فخرج حتى أتى (بني) أحمس من بجيلة، فسار بهم، إليه فقاتلته خثعم وباهلة دونه، فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل، وأكثر القتل في خثعم، وقتل مائتين من بني قحافة بن عامر بن خثعم. فظفر بهم وهزمهم، وهدم بنيان ذي الخلصة، وأضرم فيه النار، فاحترق، فقالت امرأة من خثعم:

---

(١) كتاب المحبر لابن حبيب: ص٣١٧.
(٢) كتاب الأصنام للكلبي: ص٣١.
(٣) كتاب الأصنام: ص٣٠.
(٤) كتاب الأصنام: ص٣١.
(٥) خزانة الأدب للبغدادي: ج١، ص١٩٤.

وبنو أمامة بالولية صرعوا ... ثملا يعالج كلهم أنبوبا
جاؤوا لبيضتهم فلاقوا دونها ... أسدا تقب لدى السيوف قبيبا
قسم المذلة بين نسوة خثعم ... فتيان أحمس قسمة تشعيبا[1]

(وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة)[2]؛ ويظهر من رثائها لذي الخلصة حين هدمه جرير بن عبد الله، وأحرق بيته، وهو قولها:

وبنو أمامة بالولية صرعوا . . . ثملا يعالج كلهم أنبوبا إن «الخلصة» كان صنما أنثى، أي آلهة، ولذلك قيل له «الولية»، كما ترى ذلك في البيت المذكور، ونجد في مواضع أخرى من روايات أهل الأخبار ما يؤيد هذا الرأي، فقد استعملوا ضمير التأنيث للتعبير عنها، كما قالوا فيه «المروة البيضاء» وأما تعبيرهم عنه بضمير التذكير، مثل قولهم «وكان» فإنهم أرادوا بذلك لفظ «صنم» فذكروه)[3].

ثانياً ـ سَعْد صنم أبني كنانة.

ويوجد هذا الصنم بساحل جدة، وكان لمالك وملكان، ابني كنانة، وكان صخرة طويلة، فأقبل رجل منهم بإبل (له) ليقفها عليه، يتبرّك بذلك فيها، فلما أدناها منه، نفرت منه (وكان يهراق عليه الدماء)، فذهبت في كلّ وجهٍ وتفرّقت عليه، وأسف فتناول حجراً فرماه به، وقال: (لا بارك الله فيك إلها! أنفَرتَ عليّ إبلي)، ثم (خرج في طلبها حتّى جمعها و) انصرف عنه، وهو يقول:

---

(١) كتاب الأصنام للكلبي: ص٣٥-٣٦.
(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، غزوة ذي الخلصة: ج٥، ص١١١.
(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي: ج١١ ص٢٧٣.

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا تدعو لغى ولا رشد[١]

ثالثاً ـ ذو الكفَين صنم قبيلة دوس.

وكان هذا الصنم (لدوس) ثم (لبني منهب بن دوس) فلما أسلموا بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الطفيل بن عمرو الدوسي فحرّقه، وهو يقول:

ياذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حششت النار في فؤادكا[٢]

رابعاً ـ الفلس صنم قبيلة طي.

صنم طيّ، وكان آنفاً أحمر في وسط جبلهم الذي يقال له أجأ، أسود كأنه تمثال إنسان[٣].

خامساً ـ ذو الشرى صنم بني الحارث من الأزد.

وكان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد[٤].

سادساً ـ الأقيصر صنم قبيلة قضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان.

وكان لقضاعة، ولخم، وجذام، وعاملة، وغطفان، وكان يقع في مشارف الشام. وله يقول زهير بن أبي سلمى:

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام: ج١ ص٥٣ .

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج٢ ص١٥٧ .

(٣) كتاب الأصنام للكلبي: ص٥٩.

(٤) كتاب الأصنام: ص٣٧.

حلفت بأنصاب الأقيصر جاهدا وما سحقت فيه المقاديم والقمل[١]

سابعاً ـ نُهْمٌ صنم قبيلة مزينة.

وبه كانت تسمى (عبد نهم) وكان لمزينة، ويروي أن سادنه لما سمع بخروج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قام فكسر هذا الصنم، وأنشأ يقول:

ذهبت إلى نهم لأذبح عنده عتيرة نسك كالذي كنت أفعل

فقلت لنفسي حين راجعت عقلها أهذا إله أيكم ليس يعقل

أبيت فديني اليوم دين محمد إله السماء الماجد المتفضل

ثم لحق بالنبي [صلى الله عليه وآله وسلم] فأسلم وضمن له إسلام قومه، مزينة؛ وكان اسمه خزاعي بن عبد نهم[٢].

ثامناً ـ عائمٌ صنم قبيلة أزد السراة.

وكان هذا الصنم لأزد السراة[٣].

وله يقول زيد الخير، وهو زيد الخيل الطائي:

تخبر من لاقيت أن قد هزمتهم ولم تدر ما سماهم لا وعائم[٤]

تاسعاً ـ سعير صنم قبيلة عنزة.

فخرج جعفر بن أبي خلاس الكلبي على ناقته، فمرت به وقد عترت عنزة عنده فنفرت ناقته منه فأنشأ يقول:

---

(١) كتاب الأصنام: ص٣٩ – ٤٠

(٢) كتاب الأصنام: ص٣٩ – ٤٠؛ معجم البلدان للحموي: ج٥، ص٢٣٧.

(٣) كتاب الأصنام للكلبي: ص٤٠.

(٤) المصدر السابق.

نفرت قلوصي من عتائر صرعت ... حول السعير تزوره ابنا يقدم

وجموع يذكر مهطعين جنابه ... ما إن يحير إليهم بتكلم[١]

عاشراً ـ عُميانس صنم الخولانيون.

وكان بأرض خولان يقسمون الخولانيون وهم (الأدوم) له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله عزّ وجل بزعمهم، فما دخل في حق الله من حق عميانس، ردوه عليه، وما دخل في حق الصنم من حق الله الذي سموه له، تركوه (له)[٢].

وفيهم نزل قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

فهذه أشهر أصنام العرب في مكة وما حولها، أما بقية الأصنام فهي كثيرة إلى الحد الذي نصت عليه الرواية التي أخرجها ابن أبي شيبة الكوفي والتي مرَّ ذكرها، والبالغة (٣٦٠) صنماً موزعة بين الصفا والمروة وحول الكعبة وعلى سطحها وفي جوفها، مما يكشف عن هيمنة الوثنية على عموم شبه الجزيرة العربية، وبالأخص مكة؛ لأنها موضع البيت الحرام مما دعا العرب إلى اعتماد عبادة الأصنام والأوثان والأنصاب في هذا المكان.

---

(١) كتاب الأصنام: ص٤١.

(٢) الأصنام، الكلبي: ص٤٤ .

فكانت الدعوة التطهيرية من عقيدة الوثنية بدأها إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، وأكملها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلي أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد استلزمت جهوداً كبيرة ومنهجاً خاصاً تلازم مع اللحظات الأُولى لبزوغ فجر الإسلام.

ولذا: نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) يخاطب المسلمين وفيهم صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) والتابعين، وذلك بعد استشهاد محمد بن أبي بكر، فيقول:

«إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ وأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وفِي شَرِّ دَارٍ مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وحَيَّاتٍ صُمٍّ تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ وتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ والآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ فمن الله عليكم بمحمد [صلى الله عليه وآله] فبعثه إليكم رسولاً من أنفسكمُ، وقال فيما أنزل من كتابة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾...»[1].

وقال (عليه السلام) في بيان جهد النبي (صلى الله عليه وآله) في إخراج الناس من قيود الوثنية وبراثن الشرك فوسمه بنعم الله المتعددة:

«فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ الله عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فَعَقَدَ بِمِلَّتِه

---

(١) الغارات، الثقفي الكوفي: ج١ ص٣٠٣؛ نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦، بتحقيق صبحي الصالح: ص٦٨.

طَاعَتَهُمْ وجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِه أُلْفَتَهُمْ كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا وأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا والْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ وفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ قَدْ تَرَبَّعَتِ الأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ وتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ ومُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الأَرَضِينَ يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ ويُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ ولَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ».

وقال (عليه السلام) في مداواة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعقولهم ونفوسهم وأرواحهم:

«طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّه قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَه وأَحْمَى مَوَاسِمَه يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْه مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وآذَانٍ صُمٍّ وأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِه مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ ومَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ ولَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالأَنْعَامِ السَّائِمَةِ والصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لأَهْلِ الْبَصَائِرِ ووَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا وأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا وظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا...».

وقال (عليه السلام) في بيان شرف الإسلام وفضله:

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَعَ الإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَه لِمَنْ وَرَدَه وأَعَزَّ أَرْكَانَه عَلَى مَنْ غَالَبَه فَجَعَلَه أَمْناً لِمَنْ عَلِقَه وسِلْماً لِمَنْ دَخَلَه وبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِه وشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْه ونُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِه وفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ ولُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ وآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ وعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ ونَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ

ورَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ وجُنَّةً لِمَنْ صَبرَ فَهُوَ أَبْلَجُ المَنَاهِجِ وأَوْضَحُ الْوَلَائِجِ مُشْرَفُ المَنَارِ مُشْرِقُ الجَوَادِّ مُضِيءُ المَصَابِيحِ كَرِيمُ المِضْمَارِ رَفِيعُ الغَايَةِ جَامِعُ الحَلْبَةِ مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ شَرِيفُ الفُرْسَانِ التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُه والصَّالِحَاتُ مَنَارُه والمَوْتُ غَايَتُه والدُّنْيَا مِضْمَارُه والقِيَامَةُ حَلْبَتُه والجَنَّةُ سُبْقَتُه»[1].

وفي تحذيره الأمة من الوقوع في الفتن والمحدثات والبدع والعودة الى شباك الوثنية المبطنة، بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال (عليه السلام):

«أَلَا وإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ وثَلَمْتُمْ حِصْنَ الله المَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ الله سُبْحَانَه قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِه الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِه الأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ويَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ المَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً لأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ واعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الهِجْرَةِ أَعْرَاباً وبَعْدَ المُوَالَاةِ أَحْزَاباً مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِه ولَا تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَه تَقُولُونَ النَّارَ ولَا العَارَ كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِه انْتِهَاكاً لِحَرِيمِه ونَقْضاً لِمِيثَاقِه الَّذِي وَضَعَه الله لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِه وأَمْناً بَيْنَ خَلْقِه...».

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٦ .

نتائج الدراسة:

خلصت الدراسة الى جملة من النتائج، منها:

١ـ لقد أسهمت الدراسات المتعددة لعلم الميثولوجيا في تقديم رؤية جديدة وفهم لكثير من المعتقدات التي كانت سائدة في عصور مختلفة قبل الإسلام سواء ما كان منها في أرض الجزيرة العربية لا سيما أرض مكة بوصفها محلا لبيت الله الحرام وما تركه من أثر في نفوس العرب، أو سواء في أرض الرافدين أو أرض الكنانة أو أرض فارس أو أقصى الشرق في الصين. فضلا عن تمدد الإمبراطورية الرومية وتوغلها في أرض الشام ونقل معتقداتها الى العرب.

٢ـ أن عملية التجارة بين أهل مكة والشام واليمن والعراق ومصر وإيران وغيرها قد شكّلت عنصرًا أساس في تلاقي الميثولوجيا العالمية ونفوذها بين العرب مما شكل مزيجا من الأفكار والتوجهات والآراء ظهرت بمختلفها في أرض الحجاز لا سيما أرض مكة ممثلا في عبادة الأصنام والكواكب والحيوان والأشجار والجن وامتهان التكهن وجعلهم وسطاء بين الإنس والجن متخذين جملة من الطقوس في الأمن من شرها أو الحصول على نفعها الى الحد الذي اعتقدوا فيه بوقوع التزاوج فيما بين العالمين.

٣ـ لقد سرت الوثنية بكل ضروبها وأشكالها في الجزيرة العربية ووصلت إلى حد الاستهتار والاستخفاف الفكري فيما يعتقده ابن مكة وذلك بفعل رمزية البيت وصبابته بها بل جعل من عناصر بيئتها كالنخلة والناقة رمزا يحذوا حذوه بالتقرب والالتجاء لجلب المنفعة ودفع المضرة.

٤ـ إن كتاب نهج البلاغة يعد وثيقة تاريخية مهمة لمعرفة عقائد العرب قبل الإسلام وأحوالهم الحياتية والمعيشية لا سيما وأن الإمام علي (عليه السلام) قد شهد هذه الأيام وأحوال العرب فكان شاهدا عليهم ومنذرا لهم ومبصرا وناصحا وهاديا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولذا: نجد خطابه فيهم مفعما بتلك المشاهد الحياتية والمحن الفكرية التي عايشوها كابرا عن كابر، فكان بين مذكر ومنذر ومبصر ومرشد كي لا يقعوا مرة أخرى في براثن الانحراف وضروب الوثنية التي تعاود الظهور عبر الفتن والمحدثات والبدع في الأمة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. أخبار مكة وما جاء فيها من الأخبار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت: ٢٣٠هـ)، طبع: دار الأندلس لسنة ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، ط٣، بيروت ـ لبنان.

٢. اختلاق الميثولوجيا، مارسيل ديتيان، ترجمة: د. صباح الصمد، نشر: المنظمة العربية للترجمة، ط١، سنة الطبع: ٢٠٠٨م، بيروت

٣. الآراء والمعتقدات، غوستاف لوبون، ترجمة محمد عادل زعيتر، المطبعة العصرية، مصر.

٤. الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، الدكتور ميخائيل مسعود، طبع: دار العلم للملايين لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ط١، بيروت ــ لبنان.

٥. أسرار الآلهة والديانات، أ. س. ميغوليفسكي، ترجمة: د. حسّان ميخائيل اسحاق، ط١، نشر: دار علاء الدين، ١٤٢٧هـ، دمشق.

٦. أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة، س. بريوشينكين، ترجمة: د. حسان ميخائيل إسحاق، ط١، نشر: دار علاء الدين، ١٤٢٧هـ، دمشق.

٧. أشعار الشعراء الستة الجاهليين، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي المعروف بالأعلم (ت: ٤٧٦ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان.

٨. الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق: علي محمد البجاري، طبع: دار الجيل لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، بيروت ــ لبنان.

٩. الأصنام، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط٤، نشر: دار الكتب والوثائق القومية، سنة الطبع: ١٤٣٠هـ، القاهرة.
١٠. أنساب الأشراف، البلاذري، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط١، ١٣٩٤ - ١٩٧٤ م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.
١١. البداية والنهاية، ابن كثير، (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: علي شيري، ط١، لسنة: ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، و دار الكتب العلمية، لسنة:١٩٩٤م، بيروت - لبنان..
١٢. البيان والتبيان والتبيان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبع: دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
١٣. تاريخ الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، طبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ط٤، بيروت ـ لبنان.
١٤. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكتاب العباسي المعروف باليعقوبي (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محمد يوسف نجم، طبع: دار صادر لسنة ١٤١٥هـ)، ١٩٩٥م، بيروت ـ لبنان.
١٥. تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، بيروت ـ لبنان.
١٦. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، طبع: مكتب الإعلام الإسلامي لسنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، ط١، قم المقدسة ـ إيران.
١٧. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين

أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، طبع: دار ابن خزيمة لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

١٨. التذكرة الحمدونية، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون (ت: ٥٦٢هـ)، طبع: دار صادر لسنة ١٤١٦هـ)، ١٩٩٦م، ط١، بيروت ـ لبنان.

١٩. تزاوج الإختصاصات، نجيب عبد الواحد؛ ٣يونيو٢٠١٧؛ الدراسات البينية التعليم العالي.

٢٠. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥ هـ)، تحقيق: المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، ١٤١٨ هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١. تفسير الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، نشر: دار الفكر، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، بيروت.

٢٢. تفسير السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، تحقيق: د. محمود مطرجي، ط١، نشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ، بيروت.

٢٣. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤. تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، (ت:١٤١٢هـ)، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم المقدسة.

٢٥. تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الآلوسي)،

شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: محمد حسين العرب، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤١٤هـ)، ١٩٩٤م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٢٦. تكسير الأصنام ببين تصريح النبي (صلى الله عليه وآله) وتعتيم البخاري، دراسة في الميثولوجيا والتاريخ ورواية الحديث)، أصدار العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية، ط١ مؤسسة الأعلمي-بيروت لسنة ٢٠١١م

٢٧. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الثالثة، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، سنة الطبع: ١٤١٤هـ)، ١٩٩٣م، بيروت.

٢٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابو جعفر بن جرير الطبري، تقديم: الشيخ خليل الميس، نشر: دار الاعلام، سنة الطبع: ١٤٢٣هـ، بيروت.

٢٩. جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز احمد زمري، ط١، نشر: مؤسسة ريان، ١٤٢٤هـ، بيروت.

٣٠. جغرافية المعتقدات والديانات، د. محسن عبد الصاحب المظفر، ط١، نشر: دار صفاء، ١٤٣١هـ، عمان.

٣١. جمهرة أشعار العرب؛ القرشي (أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، ت ١٨٠هـ)، دار صادر، بيروت ـ لبنان، (د. ت).

٣٢. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي (ت: ٨٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، طبع: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ط١، قم المقدسة ـ إيران.

٣٣. حاشية الدسوقي، مصطفى محمد عرفة الدسوقي، الطبعة الثانية، نشر: دار

الكتب العلمية، سنة الطبع: ١٤٢٨هـ، بيروت.
٣٤. حلية الأبرار في فضائل محمد وآله الأطهار، السيد هاشم البحراني، تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي، ط١، نشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ، قم المقدسة.
٣٥. خديجة بنت خويلد أمّة جمعت في امرأة، تأليف السيد نبيل الحسني، ط١، نشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، بيروت.
٣٦. خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، ط١، نشر: دار الكتب العلمية، سنة الطبع: ١٩٩٨م، بيروت.
٣٧. الخيل في الشعر الجاهلي، د. حمود الدغيشي، ط١، نشر: دار جرير، عمان.
٣٨. ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت: ٤٢١ هـ)، (د.ط)، (د. ت).
٣٩. ديوان امرئ القيس، تحقيق: د.حسن نور الدين، ط١، نشر: دار الحكايات، ١٤٢٤هـ، بيروت.
٤٠. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٩١١هـ)، طبع: دار المعرفة للطباعة والنشر لسنة ١٣٩٣هـ، ١٩٧٤م، بيروت ـ لبنان.
٤١. رياض الصالحين، النووي، طبع: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ط٢، بيروت ـ لبنان.
٤٢. الزمان والأزل، مقال في فلسفة الدين، ترجمة الدكتور زكريا إبراهيم.
٤٣. سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن المفضل بن بهرام الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، طبع: دار القلم

لسنة ١٤١٧هـ)، ١٩٩٧م، ط٣، دمشق ـ سوريا.

٤٤. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني (ت ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، طبع: دار الفكر لسنة ١٣٩٨هـ)، ١٩٧٨م، بيروت

٤٥. السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ)، طبع: دار المعرفة لسنة ١٤٠٠هـ)، ١٩٨٠م، بيروت ـ لبنان.

٤٦. السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، طبع: مؤسسة علوم القرآن، ط١، بيروت ـ لبنان.

٤٧. شرح صحيح مسلم للنووي، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (ت: ٦٧٦هـ)، طبع: دار القلم، ط١، بيروت ـ لبنان.

٤٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، نشر وطبع: دار إحياء الكتب العربية لسنة ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م، ط١، بغداد ـ العراق.

٤٩. الشعر والشعراء ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، طبع: دار الثقافة لسنة ١٣٨٣هـ، ١٩٦٤م، بيروت ـ لبنان.

٥٠. شمس الدين السفاريني

٥١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، أبو القاسم عبيد اللهّ بن عبد اللهّ النيسابوري الحنفي (ت ٤٧٠هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر المحمودي، طبع: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الاسلامي لسنة ١٤١١هـ)، ١٩٩٠م، ط١، طهران ـ إيران.

٥٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبع: دار العلم للملايين لسنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م،

ط٤، بيروت ـ لبنان.

٥٣. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، طبع: مؤسسة الرسالة لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، بيروت ـ لبنان

٥٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٨٥٢هـ)، طبع: عالم الكتب لسنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت ـ لبنان.، كتاب الطلاق، باب: لم تحرم ما أحل الله لك: ج٦، ص١٦٧).

٥٥. صحيح الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥.

٥٦. صحيح النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ)، طبع: دار أمنت، بيروت ـ لبنان.

٥٧. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، طبع: دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

٥٨. صحيفة المدينة، يوم الاثنين ٢٨ شوال-١ يوليو ٢٠١٩

٥٩. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٦٠. عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق، (ت:٣٨١هـ)، تح: الشيخ حسين الأعلمي، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

٦١. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي، تحقيق: عبد الزهرة الحسينية، ط١، نشر: دار الأضواء، ١٤٠٧هـ، بيروت.

٦٢. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ) الناشر: مؤسسة قرطبة - مصر، ط٢، ١٤١٤ هـ -١٩٩٣م

٦٣. غريب الحديث، ابن قتيبة، (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: دكتور عبد الله الجبوري، ط١، لسنة: ١٤٠٨، الناشر: دار الكتب العلمية – قم.

٦٤. الفايق في غريب الحديث لجار الله الزمخشري: ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان لسنة ١٤١٧ هـ.

٦٥. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، طبع: دار الفكر لسنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، بيروت ـ لبنان.

٦٦. الفتنة ووقعة الجمل، سيف بن عمر الضبي الأسدي، تحقيق: أحمد راتب عرموش، الطبعة الثانية، نشر: دار النفائس، ١٣٩٧هـ، بيروت.

٦٧. الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي، طبع: منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م، النجف الأشرف ـ العراق.

٦٨. فقه الصادق عليه السلام، السيد محمد صادق الروحاني، الطبعة الثالثة، نشر: مؤسسة دار الكتاب، ١٤١٢هـ، قم المقدسة.

٦٩. قرب الإسناد، الحميري القمي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٣هـ، قم المقدسة.

٧٠. الكافي، الشيخ الكليني، ط٥، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران لسنة ١٤٠٩ هـ.

٧١. كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ط١، نشر: دار الكتب العلمية، سنة الطبع: ١٤١٩هـ)، بيروت.
٧٢. كتاب المحبّر، محمد بن حبيب الغدادي، (ت: ٢٤٥ هـ)، ذي القعدة ١٣٦١، المطبعة: مطبعة الدائرة.
٧٣. كتاب النكاح، الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره، تحقيق: لجنة التحقيق لتراث الشيخ الأعظم، ط١، نشر: مجمع الفكر الإسلامي، ١٤٢٢هـ، قم المقدسة.
٧٤. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري المصري، تحقيق: عامر أحمد حيدر، طبع: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ط١، بيروت ـ لبنان.
٧٥. المبسوط، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السَّرَخْسِيّ (٤٨٣ هـ ١٠٩٠ م)، (د. ط)، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
٧٦. المجازات النبوية، الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي العلوي (ت: ٤٠٦هـ)، تحقيق وشرح: الدكتور طه محمد الزيني (الأستاذ بالأزهر)، طبع: منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة ـ إيران.
٧٧. مجلة عالم المعرفة، نشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون، سنة الطبع: ١٤١٢هـ، الكويت.
٧٨. مذاهب الأدب (معالم وانعكاسات)، د. ياسين الأيوبي، ط١، نشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، سنة ١٩٨٢م، بيروت.
٧٩. مستدرك الحاكم، الحاكم النيسابوري، (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٨٠. مسند أحمد، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والافعال، احمد بن

حنبل، (ت: ٢٤١ هـ)، دار صادر- بيروت.

٨١. مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، طبع: مؤسسة الرسالة لسنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٨٢. المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي. (د. ط)، (د. ت).

٨٣. المصنف، ابن ابي شيبة الكوفي، (ت: ٣٣٥ هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، جماد الآخرة ١٤٠٩ - ١٩٨٩م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٨٤. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (ت: ١٢٤٣هـ) الناشر: المكتب الإسلامي ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

٨٥. المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة مجلة عالم المعرفة.

٨٦. المعتقدات الشعبية في الموروث الشعري العربي القديم، عبد الرزاق خليفة محمود، طبع: دار الينابيع، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٩م، ط١، دمشق ــ سوريا.

٨٧. معجم البلدان، ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: فريد بن عبد العزيز الجندي عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي بالميناء، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٠هـ)، ١٩٩٠م، ط١، بيروت ــ لبنان.

٨٨. المعجم القانوني، حارث سليمان الفاروقي، ط٣، نشر: مكتبة لبنان، ١٩٩١م، بيروت.

٨٩. معجم اللغة العربية المعاصر، الحبيب النصراوي، نشر وطبع: مطبوعات مجمع اللغة العربية لسنة ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م، ط١، دمشق ـ سوريا.

٩٠. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد

العزيز البكري الأندلسي، تحقيق: د. جمال طلبة، ط١، نشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، بيروت.

٩١. المغازي، أبو عبد الله محمد بن عمر السهمي الأسلمي المدني المعروف بـ(الواقدي) (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: د. عمر جرش، طبع: عالم الكتب لسنة ١٤٠٤هـ)، ١٩٨٤م، بيروت ـ لبنان.

٩٢. مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط٢، نشر: دفتر نشر الكتاب، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ.

٩٣. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ) الناشر: دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.

٩٤. موسوعة الملل والنحل، الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، طبع: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٩٥. موسوعة الأديان في العالم، ط١، نشر: ادينو كريس، بيروت.

٩٦. موسوعة العقائد الإسلامية، محمد الري شهري، بمساعدة رضا برنجكار وعبد الهادي المسعودي؛ تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، قم: دار الحديث، ١٤٢٥ ق = ١٣٨٣.

٩٧. موسوعة العلوم النفسية، هيجل، ترجمة د. إمام عبد الفتاح، دار التنوير.

٩٨. موقع ويكيبيديا.

٩٩. الميثولوجيا من نرام سين إلى بول برايمر، نعيم عبد مهلهل:

١٠٠. نظرية عدالة الصحابة، أحمد حسين يعقوب، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، شارع شهداء - قم - إيران، ذي القعدة ١٤١٣.

١٠١. نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، (ت: ٧٣٣ هـ)، المطبعة: مطابع گوستاتسوماس وشركاه، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة

المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٠٢. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع)، (ت: ٤٠ هـ)، تحقيق: شرح: الشيخ محمد عبده، ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، الناشر: دار الذخائر - قم - إيران.

١٠٣. نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام، تجميع: الشريف الرضي، السيد محمود المرعشي، نشر: مكتبة السيد المرعشي لسنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، قم المقدسة ـ إيران.

١٠٤. نيل الأوطار من أسرار المنتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد السيد، تخريج الأحاديث: يوسف علي بديوي، طبع: دار الكلم الطيب، دمشق ـ سوريا.

١٠٥. وسائل الشيعة، الحرّ العاملي محمد بن الحسن، (ت: ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت «عليهم السلام» لإحياء التراث، ط١، مؤسسة آل البيت «عليهم السلام» لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م

١٠٦. الينابيع الفقهية لمروارید، علي أصغر مروارید، ط١، لسنة: ١٤١٠ - ١٩٩٠ م، الناشر: دار التراث، والدار الإسلامية - بيروت - لبنان.

١٠٧. ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، طبع: دار الأسوة للطباعة والنشر لسنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ط١، بيروت ـ لبنان.

المحتويات

مقدمة الكتاب ٩
التمهيد: المناهل المعرفية للدراسة ١٣
المبحث الأول: معنى مفردات عنوان الدراسة ومصطلحاتها. ١٥
المسألة الأولى: معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح..... ١٥
أولاً: العقيدة لغة..... ١٥
ثانياً: العقيدة اصطلاحًا..... ١٦
المسألة الثانية: معنى مصطلح الميثولوجيا. ١٧
المبحث الثاني: تعريف الدين ومفهومه في المنظور الإسلامي والميثولجي والانثروبولوجي. ٢١
المسألة الأولى: تعريف الدين في المنظور الإسلامي..... ٢٢
المسألة الثانية: تعريف الدين في المنظور الميثولوجي. ٢٦
ثانياً: التفسير الأنثروبولجي للدين. ٢٩
ثالثاً: النظرية الاجتماعية في تفسير الدين..... ٣١
المبحث الثالث: فرضية الدراسة وهدفها ومناهلها المعرفية ومناهج البحث المعتمدة. ٣٥
المسالة الأولى: فرضية الدراسة وهدفها. ٣٥
أولاً: فرضية الدراسة. ٣٥
ثانيًا: هدف الدراسة..... ٣٦
المسألة الثانية: معنى الدراسة البينية ٣٧
المسألة الثالثة: حقول الدراسة المعرفية ومجالات البحث. ٣٨
المسألة الرابعة: مناهج البحث المعتمدة في الدراسة..... ٣٩

الفصل الأول: كاشفية أقوال الإمام علي (عليه السلام) عن أثر الميثولوجيا العالمية في معتقدات العرب وحاكمية الوثنية. ٤١

توطئة: ٤٣

المبحث الأول: محددات عقائد العرب قبل البعثة وأثر الميثولوجيا العالمية في تنوع معتقداتهم وتأثر الإنسان العربي بتقديم الأضاحي وجذوره العقدية ٤٩

المسألة الأولى: أثر علم الميثولوجيا في فهم المعتقدات ومدى توافقه مع الرؤية القرآنية... ٤٩

أولاً: معنى الأسطورة بين الرؤية القرآنية والرؤية الميثولوجية. ٤٩

ثانياً: حيرة علماء الميثولوجيا في الترابط بين الطقوس والأساطير وأيهما أقدم من الآخر .. ٥٥

المسألة الثانية: بعض مظاهر الطقوس لدى العرب قبل الإسلام وتأثرها بالأساطير العالمية فكانت الأضاحي أبرز مظاهرها. ٥٩

المبحث الثاني: كاشفية أقوال الإمام علي (عليه السلام) عن تنوع المعتقدات قبل البعثة ودواعي نشوئها. ٦٥

المسالة الأولى: محددات عقائد العرب قبل البعثة في خطاب الإمام علي (عليه السلام) وجهود النبي (صلى الله عليه وآله) في إخراج الناس من الوثنية الى التوحيد. ٦٥

المسألة الثانية: من أهم دواعي نشوء المعتقدات وتنوعها هو دوران الإنسان بين جلب المنفعة ودفع المضرة. ٧٠

المسألة الثالثة: الكهانة والتكهن وأثر الكهنة في دخول أبي بكر وعثمان وطلحة الى الإسلام ٧٢

المبحث الثالث: اعتقاد العرب بالجن والشياطين والخوف منها وتأثرهم بالميثولوجيا العالمية. ٧٩

المسألة الأولى: العقيدة بالجن والشياطين لدى العرب عقيدة وافدة من شعوب وديانات أخرى. ٨٤

المسألة الثانية: كيف يتعامل الإنسان العربي قبل الإسلام مع الجن والشياطين وما هي أبرز الطقوس الكاشفة عن عقيدته وأثرها النفسي والاجتماعي..... ٨٨

المسألة الثالثة: خوفهم من أماكن سكنى الجن في الجزيرة العربية. ٩٥

المسألة الرابعة: اعتقادهم بأن الجن والإنس يتزاوجون وسريان هذا الاعتقاد عند المذهب المالكي. ٩٨
١ - إقرار بعض التفاسير الإسلامية بوجود التزاوج فيما بين الجن والإنس. ٩٩
٢ - اعتقاد مالك بن أنس وفقهاء المالكية بالتزاوج بين الجن والإنسان. ١٠٠
المسألة الخامسة: اعتقاد العرب بأن الشياطين ملهموا الشعراء. ١٠٢
المسألة السادسة: خوفهم من التطير واعتقادهم بضرره. ١٠٤
أولاً: التطير لغة. ١٠٤
ثانياً: استمرار عقيدة التطير في المجتمع بعد الإسلام. ١٠٥
المسألة السابعة: اعتقادهم بالهامة والصدى. ١١٤
المسألة الثامنة: عقيدتهم في دفع القحط والاستمطار عِبْرَ إضرام النار بأذناب البقر. ١١٨
الفصل الثاني: كاشفية أقوال الإمام علي (عليه السلام) عن سريان عبادة الأصنام وحاكمية الوثنية العالمية في ديانة العرب. ١٢٥
المبحث الأول: الرمزيّة وأثرها في تكوين عبادة الأصنام. ١٢٩
المسألة الأولى: حاجة الإنسان إلى الاعتقاد بالرمز. ١٢٩
١ - الخوف. ١٢٩
٢ - العجب مما يحدث أو الجهل في الطبيعة. ١٣١
٣ - طلب العون والبركة. ١٣١
٤ - الموت وما بعد الموت. ١٣٢
المسألة الثانية: تطور فكر الحاجة دفع إلى الاعتقاد بالآلهة المتعددة في الحضارات القديمة وتأثر العرب بها في معتقداتهم. ١٣٢
المسألة الثالثة: دواعي نشوء الرمزية في ميثولوجيا الشعوب. ١٣٨
المبحث الثاني: تطور الرمزيّة وتعدد صورها في الديانات السائدة في الجزيرة العربية فكانت الأصنام أبرز مظاهرها ١٤٣

المسألة الأولى: رمزية الكعبة وأثرها في ظهور الوثنية لدى العرب قبل البعثة..... ١٤٤
المسألة الثانية: مدار الأسطورة في دين الوثنية لدى العرب..... ١٤٦
المسألة الثالثة: الرمزيّة في عبادة الكواكب والنجوم لدى العرب. ١٤٩
المسألة الرابعة: رمزية الشجرة والحيوان في الوثنية لدى العرب..... ١٥٢
المبحث الثالث: سريان عبادة الأصنام بين العرب وتأثرهم بالميثولوجيا العالمية ١٥٧
المسألة الأولى: ثالوث مكة قبل الإسلام وأثر الميثولوجيا العالمية في اعتقاد العرب به. . . ١٦٠
أولاً: اعتقادهم بمناة وهو من الأصنام الأنثوية. ١٦٣
ثانياً: اعتقادهم باللات وهو من الأصنام الأنثوية..... ١٦٤
ثالثاً: اعتقادهم بالعزى وهو من الأصنام الأنثوية..... ١٦٥
المسألة الثانية: اعتقاد العرب بأصنام قوم نوح وظهورها في نـجد، وهي (ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر). ١٦٦
أولاً- الصنم: وِدٌ. ١٦٧
ثانياً – الصنم: سُوَاعٌ. ١٦٨
ثالثاً – الصنم: يَغُوَثٌ..... ١٦٨
رابعاً – الصنم: يَعْوَقٌ..... ١٦٩
خامساً – الصنم: نَسْرٌ..... ١٦٩
المسألة الثالثة: اعتقاد العـرب بأصنـام الكعبـة وأبـرز ما اَمتـازت به وأثـر الكهنـة في تعظـيم الاعتقـاد بها. ١٧٠
أولاً – صنما الكعبة، وهما: إساف ونائلة. ١٧١
ثانياً – صنم قريش الأعظم، هُبَلْ..... ١٧٣
المسألة الرابعة: كاشفية قوله (عليه السلام) عن حاكمية الوثنية في ديانة العرب قبل البعثة..... ١٧٦
أولاً – تعظيمهم لوثن ذو الخلصة فاتخذوا له بيتاً سمي بالكعبة اليمانية. ١٨٠
ثانياً – سَعْد صنم أبني كنانة..... ١٨٢

ثالثاً – ذو الكفّين صنم قبيلة دوس..... ١٨٣
رابعاً – الفلس صنم قبيلة طي..... ١٨٣
خامساً – ذو الشرى صنم بني الحارث من الأزد. ١٨٣
سادساً – الأقيصر صنم قبيلة قضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان. ١٨٤
سابعاً – نُهْمٌ صنم قبيلة مزينة. ١٨٤
ثامناً – عائمٌ صنم قبيلة أزد السراة..... ١٨٤
تاسعاً – سعير صنم قبيلة عنزة. ١٨٥
عاشراً – عُميانس صنم الخولانيون. ١٨٥
نتائج الدراسة ١٨٩
المصادر والمراجع..... ١٩١
فهرس المحتويات ٢٠٣

تم بحمد الله